

الفصل الثامن

**التوجهات والممارسات الصهيونية
إزاء التراث الحضاري والثقافي للقدس**

التوجهات والممارسات الصهيونية إزاء التراث الحضاري والثقافي للقدس

أ. إبراهيم عبد الكريم

مقدمة:

تفرض التوجهات والممارسات الصهيونية إزاء التراث الحضاري والثقافي الخاص بالقدس ظلالها الثقيلة على مشهد المدينة، بمختلف مكوناته. وتتجلى هذه الحالة بالعديد من المفردات والصيغ التي يتمّ توظيفها في منحى طمس الهوية العربية والإسلامية للقدس، وتقديمها كـ "مدينة يهودية"، عبر القيام بعملية تهويد مبرمجة تمس جميع المعالم والرموز المتعلقة بالتراث الحضاري والثقافي للمدينة.

وفي محاولة لتكوين صورة عن المنطلقات والمسااعي المتعلقة بذلك، تظهر حاجة لتتبّع الخطوط التي تسير وفقها عملية تهويد القدس، بالتركيز على بنية الخطاب الصهيوني - الإسرائيلي، وتعبيراته العملية والسياسية والدعائية الرامية لاجتثاث المدينة من مسار التطور التاريخي الطبيعي لحضارتها وتراثها الثقافي، ووضعها في مسار مغاير تحدده الصهيونية و"إسرائيل".

أولاً: تشكيل التاريخ اليهودي ونفي هوية القدس العربية الإسلامية:

درج الفكر الديني اليهودي - الصهيوني على تقديس ما يسمى "أرض إسرائيل"، وتمّ التركيز على أن مصدر قداستها يعود إلى ما ورد بشأنها في التناخ (العهد القديم) Tanakh. وتتفق جميع الكتابات اليهودية على أن النواة الأساسية لهذه القداسة تتمثل في مدينة القدس، التي تحتل مكانة مهمة في جميع هذه الكتابات¹. وتبين متابعة المؤلفات اليهودية والصهيونية حول القدس، أنها تضمنت تكوين تاريخ قديم متخيل للقدس، يشمل تحديداً زمنياً لأحداث ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، عبر تقديم رواية التناخ على أنها سردية واقعية، تمّت فيها عملية مطابقة قسرية بين المرويات والجغرافيا الفلسطينية عموماً، والمقدسية بوجه خاص. وتعمّدت الكتابات اليهودية

والصهيونية ربط أهمية القدس التاريخية انطلاقاً من هذه المطابقة، وفق منهجية تلحّ على يهودية "أورشليم"² (القدس) ونفي عروبة المدينة وتهميش طابعها الإسلامي. وانسجاماً مع ذلك، أضفت المخيلة اليهودية على القدس جمالاً منقطع النظير، حتى قيل في التلمود Talmud البابلي: "لقد منّ الله على العالم بعشر حفنات من الجمال، أهدى تسعاً منها إلى أورشليم، والباقي إلى سائر العالم" (التلمود البابلي، رسالة قيدوشين 2:49)³.

وفي سياق الإجابة على تساؤل علماء الآثار والمؤرخين؛ لماذا اكتسبت القدس مكانتها العميقة، وكيف أصبحت مدينة كبرى؟ يجزم صهيونيان بارزان، هما: تيدي كوليك Teddy Kollek (الذي ترأس بلدية القدس المحتلة في الفترة 1965-1993) والجنرال السابق موشيه بيرلمان Moshe Pearlman (مؤسس ومسؤول دائرة الناطق الإعلامي باسم الجيش الإسرائيلي في الفترة 1948-1952) أن أهمية "أورشليم" بحسب تعبيره، ترجع إلى ما أوجده التاريخ القديم فيها، وإلى الحضارة العبرية التي أنجبت الملوك - الفلاسفة وأنبياء العهد القديم الذين جعلوا أورشليم مركزاً لهم. فمن أورشليم خرجت أفكارهم إلى العالم كله وغيّرت، كما أعلن إشعياء Isaiah "من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب" (إشعياء 3:2). بالإضافة إلى أن الأطروحات الأولى، ومفاهيم الخير والشر، ومحبة الخلق، وعدالة القانون؛ كانت هي المبادئ الثورية للعبريين الأوائل، وكانت أورشليم هي مركز الإشعاع الذي انطلقت منه⁴.

رداً على هذه المزاعم، بيّن محمد إدريس، أستاذ الدراسات الإسرائيلية، أن هناك الكثير من:

المغالطات التاريخية والدينية في وجهة النظر اليهودية، فلم تكن أورشليم مهبط وحي أو مصدر شريعة، فالتوراة نزلت على موسى في سيناء، وجرى وضع أسس التلمود في بابل. بل إن المدارس الفقهية الأورشليمية التي ظهرت بين بقايا اليهود الذين تركهم البابليون فيها، أو فيما بعد، لم تكن في قوة مدارس اليهود في بابل، ومن ثم ظلّ التلمود البابلي مسيطراً على الفقه اليهودي حتى الآن⁵.

ويتضمن التوصيف الصهيوني التقليدي للارتباط المصطنع بين القدس واليهود تشديداً على "مركزية القدس" في تاريخهم، والادعاء أنه "على مدى ألفي سنة كانت القدس بالنسبة للشعب اليهودي المدينة الخالدة الأبدية ومركز الحياة الدينية والروحانية،



وصورة تطلعات الشعب الوطنية، وأنه رغم قدسية المدينة عند الأديان الثلاثة، إلا أن أحداً لا يشك في أن الثقل الكبير بها هو للديانة اليهودية⁶. وهناك تذكير دائم بأن المدينة ظلت تتردد على ألسنة اليهود في المنافي، بعبارة "العام القادم في يروشلايم"، وتحولت إلى شعار لهم على مرّ العصور والأجيال، وتسميتها يروشلايم (مدينة السلام)، والادعاء بأن "أحد معاني هذا الاسم يرتبط بالوراثة (يروشاه بالعبرية) التي أورثها الله لشعب إسرائيل، وجعلها مكاناً لإقامته. ثم عزو قدسية البلاد إلى أبدية هذه المدينة كعاصمة لشعب أودي، وورود ذكرها في التوراة نحو 670 مرة"⁷.

وشدّت الأدبيات الصهيونية على أن يروشلايم "كانت ولا تزال وستبقى أقدس مقدسات شعب إسرائيل، وأنها قلب الأمة الذي لا يمكن فصله عن جسدها"، وذلك بالتساير مع ترسيخ مكانتها في الذاكرة اليهودية، كقيمة روحية، تمتزج بالتطلع إليها. حيث اعتاد اليهود في صلواتهم التوجه إليها وترديد القسم: "إذا نسيتك يا أورشلين نسيت يميني، وليلتصق لساني بحلقي إذا لم أذكرك، وإذا لم أزر القدس في أفراحي"⁸. وتعبيراً عن المعاني السياسية والعملية لـ "أورشلين" في حياة اليهود، بالمنظورين الجمعي والفردى، ذهب موتى جولاني Motti Golani أحد المؤرخين الصهيونيين، إلى أنه "لا وجود للصهيونية دون أرض صهيون (القدس)"⁹، وخاطب أحد زعماء الصهيونية مندوباً من المندوبين السامين البريطانيين الذين حكموا البلاد حتى قيام "إسرائيل" بعبارة يراد لها أن تظهر شدة ارتباط اليهود بالقدس، عبر القول: "عندما كان أجدادك يلعبون مع القردة في غابات لندن وأكسفورد، كان أجدادنا يستمعون إلى العظات النبيلة حول الأنبياء في شوارع أورشلين"¹⁰. وقال أحد الكتاب الإسرائيليين "عندما بنى أبائنا أورشلين، كان آباء الكيان الفلسطيني يقفزون إلى الأشجار"¹¹، في كناية عن الدونية حسب سلم التطور الدارويني.

ولتعزيز الوحدة العضوية بين الديني والديني لـ "أورشلين"، دعا حكماء المدراس Midrash (وهو تأويل الرايينين للعهد القديم، وهو لا يفسر النصّ آية آية بل يأخذ شكل التوسيع والإسهاب) والتلمود إلى التمسك بـ "أورشلين الأرضية" (السفلى) المدينة التي يمكن تطبيق قسم من التعاليم نظرياً وعملياً فيها، معتبرين أن "أورشلين السماوية" هي الغاية، وأن "المدينة الأرضية" هي الطريق والدرج اللذان يؤديان إليها، وأن البوابة ليست سوى بيت الله، وهذه هي "بوابة السماء" (حسب سفر التكوين)¹². وتحدث

الصهيونيون عن بداية الارتباط بين اليهود والقدس منذ فترة الملك ديفيد (داود عليه السلام)، وصولاً إلى بناء "الهيكل الثالث" الذي يتطلعون إلى بنائه مكان الحرم القدسي. ومن الأمثلة التي تنتمي إلى ذلك، تأكيد يسرائيل ميداد Yisrael Medad، رئيس جماعة جبل الهيكل El Har HaShem Society، بأن "أورشليم هي عاصمة إسرائيل الأبدية حسب التوراة"، ويورد ميداد الأفكار المتوارثة لدى اليهود بهذا الخصوص، حيث يقول:

اشترى ديفيد بيدراً وأقام به المذبح حين حدد القدس كمدينة لمملكته، بعد سبع سنوات من تتويجه ملكاً في الخليل، وكان في البيدر حجر كبير هو "حجر الشرب" (الكأس)، وفي هذا المكان، في أرض موريا، ربط إبراهيم ابنه الوحيد إسحق، وبعد ذلك أقام فيه الملك شلومو [سليمان عليه السلام] بيت المقدس [الهيكل] الأول [الذي يقال إن الملك البابلي نبوخذ نصر دمره سنة 587 ق.م]. وبعده جاء عيزرا [Ezra] وحشموئيم، ثم بنى هيرودوس الهيكل الثاني، الذي أصبح مثاراً للفخر.

ويقال إنه دمر من قبل الرومان سنة 70 للميلاد. ويشير ميداد إلى أن "اليهودي في كل أماكن وجوده يتجه أثناء الصلاة نحو أورشليم، وفي نهاية كل مراسم زواج يكسر الزوج كأساً ويعلن عن ولائه لأورشليم، هذه المدينة التي تجمع كل اليهود معاً، وتؤم الجماهير ساحة المبكى كل ليلة التاسع من آب في التقويم العبري وبأعداد متزايدة". ويعبر ميداد عن الحلم الصهيوني الجمعي بأن "الخلاص يتمّ عندما يُبنى في هذا المكان الهيكل الثالث"¹³. وتوضيحاً لموضوع "الخلاص"، يبين البروفيسور يسرائيل شاحاك Israel Shahak أن مهمة اليهود، حسب اعتقاد المسيائيين (المؤمنين بمسيح اليهود المنتظر)، هي تحضير أفضل الشروط للمسيا القادم قريباً، من خلال مصادرة أراضي العرب في القدس، كما أن لطرق الضغط المختلفة على الفلسطينيين هدفاً لاهوتياً، حيث من المفضل حسب الشريعة اليهودية (الهالاخاه Halakhah) ألا يقيم غير اليهود في القدس، ويجب عدم السماح بوجود ديانة أخرى غير اليهودية في القدس، كما كان الأمر عليه قبل سنة 70 للميلاد. ويعتقد المسيائيون أنه كلما قلّ عدد غير اليهود في القدس ازداد الرب سروراً، أو تسارعت بداية الخلاص لتتحول إلى خلاص كامل¹⁴.



ثانياً: الهيكل اليهودي: الفكرة والموقع الموهوم:

ارتباطاً بالتاريخ والمكان، تنبع خطورة فكرة "الهيكل اليهودي" من كونها تمس هوية القدس في الصميم، بحضارتها وثقافتها العربية الإسلامية، حيث تصرّ الأوساط اليهودية والصهيونية أن الهيكل يعدُّ حقيقة لا جدال بشأنها، وتقدمه على أنه مبنى كان قائماً في الماضي، وظلّ يرمز عند اليهود إلى ما يسمى "الروح الوطنية" ويؤكد بقاء الشعب اليهودي على أرضه¹⁵.

وينظر اليهود إلى الهيكل على أنه رمز ينطق دوماً بحضور إله اليهود "يهوه" حضوراً ملوكياً وسط شعبه، واعتبروه المكان المفضل للصلاة لاستقطاب الإسرائيليين، ولا سيما في أوقات المحن. ووجدت القيادات اليهودية والصهيونية ضالتها المنشودة في جعل فكرة الهيكل اليهودي في القدس باعثاً ومحرّضاً على حشد الطاقات الذاتية والتحالفية لبناء المشروع اليهودي الصهيوني في فلسطين. واتخذ الهيكل بعداً سياسياً عبّر عنه ديفيد بن جوريون David Ben-Gurion، أول رئيس حكومة لـ "إسرائيل"، بتأكيد أنه "لا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل"¹⁶.

وبغية تجذير الهيكل في الذاكرة اليهودية، وطمس هوية الحرم القدسي ومعالمه، وتهيئة الأذهان لإزالته، قامت الأوساط الصهيونية بتكوين صورة ذهنية للهيكل، تتضمن تفاصيل دقيقة جداً عن بنائه وعن معالمه الخارجية وتقسيماته الداخلية، وترجمتها إلى مخططات وأشكال تمثيلية ورسوم متخيلة. وانتشرت مع هذه المؤلفات نماذج مصغرة للهيكل، اشتهر منها النموذج الذي صممه البروفيسور اليهودي ميخائيل آفي يونا Michael Avi-Yona¹⁷. وجرى بناء "صيغة ذهنية" جامحة حول الهيكل، فشبّه اليهود مكانته بمكانة القلب في العهد القديم، خاصة وأن الحديث عن الهيكل يحتل أكثر من ثلث سفر الخروج والجزء الأخير منه بكامله. وتغنّت المنشورات اليهودية والصهيونية بجمال الهيكل ومكانته، حتى إن الموسوعة اليهودية Encyclopaedia Judaica، التي يفترض فيها مراعاة ولو الحد الأدنى من المعايير العلمية للتأليف، اعتبرته أضخم مبنى عرفه الإنسان، وأعظم معبد ظهر في التاريخ، من حيث تأثيره وقوته، ونشرت الموسوعة مخططات الهيكل طبقاً لرواية التناخ¹⁸. ويجمع الصهيونيون على أن هار هابيت (جبل البيت) هو المكان الأقدس للشعب اليهودي وليس فقط للمتدينين، وأن الهيكل الذي خرب مرتين، هو الرمز الأساس ليس للدين فقط، بل للسيادة اليهودية أيضاً، وأن جبل البيت

هو رمز الحياة اليهودية التي ازدهرت ونمت هنا، وأن كوتيل همعرافي (الحائط الغربي)، وأهميته التاريخية، هو رمز الخراب، والتهوي واحتلال "أرض إسرائيل" على يدي أجانب¹⁹.

وهناك المئات من المؤلفات المشهورة التي يجري عرضها في واجهات المكتبات اليهودية والغربية، بإخراج فني متميز، فضلاً عن عدد كبير جداً من المواد الدعائية، التي تجتُر الرواية التناخية، وتسعى إلى إيجاد دلائل لها على الأرض، عبر تطويع التاريخ واستنطاق الآثار على الطريقة اليهودية، مع ربط تعسفي مصطنع بين نصوص التناخ وجغرافية القدس، على طريق إقامة الهيكل مكان الحرم القدسي.

ومن هذه المصادر مثلاً "الموسوعة اليهودية"، وموسوعة "الصهيونية وإسرائيل" Encyclopedia of Zionism and Israel، اللتان تسهبان في إيراد مثل تلك التفاصيل. يُضاف إليهما كم هائل من الكتب التي تحذو حذوهما أو تشكل رديفاً لهما في مقولاتهما التضليلية، ومنها مثلاً: مجلدان لموسوعة الحفريات الأثرية في ما يسمى "أرض إسرائيل"، ومجلدات "المدينة القديمة" للمؤرخ الإسرائيلي زئيف فلنائي Ze'ev Vilnai، وكتاب ايلي شيلر Eli Schiller وجدعون بيجر Gideon Biger "القدس: المدينة القديمة" الذي يورد عشرات المخططات التي تترجم الرواية التناخية عبر مطابقة قسرية مع جغرافية القدس. ومن الكتب الخطيرة المصوّرة حول القدس، كتاب مثير بن دوف "القدس في مرآة الأجيال" الذي يحشد فيه مئات الصور والمخططات المصممة استناداً إلى الرواية التناخية حول القدس، فيسهب في الحديث عن أسماء القدس حسبما وردت في العهد القديم، ويتحدث عن "يروشلايم وبيت ديفيد في عهد الهيكل الأول"، ثم من داود إلى تسدكياهو 586-1000 ق.م. ويدعي أن الانقلاب الكبير وقع في تاريخ القدس مع احتلال داود لها، وعندها قرر أن يجعل عاصمة المملكة فيها، وكل ما حدث في أعقاب هذا القرار أوصل القدس إلى مكانتها المتميزة بين مدن العالم كله، وأصبحت منبع الحضارة، والعاصمة المقدسة للعالم الغربي. كما يتحدث المؤلف عن المعبد (الهيكل الأول) الذي بناه شلومو (سليمان)، وفق الرؤية التناخية، ويورد مخططاً له ينطبق تقريباً على مكان الحرم القدسي الحالي، ويتحدث بالتفصيل عن روعة هذا المبنى ودوره، ويتحدث عن أن هيكل شلومو (هيكل سليمان)، مع نهاية عملية البناء، أصبح في القدس أحد المباني الرائعة الضخمة الذي استخدم مشعلاً روحانياً حضارياً لحياة المدينة، وقد ترك المعبد



أثره على كل ما حدث منذ ذلك الوقت في القدس، وهو الذي حدد نوع المدينة ومكانتها الخاصة. ثم يتحدث عن خراب الهيكل الأول وتدميره على يد ملك بابل نبوخذ نصر، وينتقل إلى القدس في أيام الهيكل الثاني (تحت الحكم الفارسي واليوناني والروماني). ويركز على أيام شمعون باركوكبا Shimon Bar Kokhba وتمرده ضد أدريانوس Adrianus، وعن استمرار حياة اليهود في القدس، ويقدم لمحات عن حياتهم تحت الحكم البيزنطي والروماني²⁰.

ويلاحظ أن هذه المؤلفات وسواها مليئة بالأفكار المسبقة والغيبية، التي جرى ترتيبها وفق نمط ذهني مغرق في عنصريته، استناداً إلى اعتبارات سياسية تسعى لحيازة التفهم والتأييد العالمي لدعاوى "الحق التاريخي" التي تنادي بها الصهيونية، خلافاً لكل القوانين والمواثيق والأعراف الدولية. ويمكن القول إن موضوع الهيكل برمته لا يعدو أن يكون واحداً من الإنشاءات الأيديولوجية السياسية، حيث لم يُعرف في الروايات المختلفة أن النبي موسى قد دخل فلسطين، ولم تذكر هذه الروايات أنه بنى هيكلًا، وحسب معجم "اللاهوت الكتابي" لم يكن للعبرانيين هيكل في "زمن الآباء"، أي في عهود من يسمونهم إبرام وإسرائيل (إبراهيم ويعقوب عليهما السلام). ويشير المعجم إلى أن "المعبد الأمثل الذي كان في عهد داود هو خيمة الاجتماع"²¹.

يُذكر أن الأوساط اليهودية والصهيونية تتباين في تحديد الموقع المتصور الموهوم للهيكل اليهودي، ومن الروايات المتعددة بشأن هذا الموقع، أنه يقوم:

1. مكان المسجد الأقصى.
2. مكان قبة الصخرة حيث يقع حجر الأساس للهيكل.
3. شمال قبة الصخرة.
4. في جبل صهيون.
5. في الكنيس الكبير الموجود حالياً في شارع جورج الخامس.
6. فوق جبل جرزيم في منطقة نابلس حسب اعتقاد الطائفة السامرية. بيد أن تلك الأوساط تتفق على حذف الطابع العربي والإسلامي للقدس، وتكاد التوصيفات الصهيونية تجمع على أن الهيكل المزعوم كان يقوم مكان الحرم القدسي.

ثالثاً: معبد هيرودوس شاهد على عروبة المكان:

تتفق الموسوعات والقواميس والمراجع التي تُعنى بالشؤون اليهودية والإسرائيلية على أن هيرودوس باني المعبد (القصر) في القدس لم يكن يهودياً، بل كان أدومياً من ناحية أبيه وأمه. والأدوميون هم قبائل عربية ورد ذكرها في السجلات المصرية القديمة خلال عصر الأسرة 12، التي حكمت بين 2000-1788 ق.م، وأشهر من عرف منهم أيوب عليه السلام، وهو من أنبياء العرب، وورد ذكره في القرآن الكريم أربع مرات. وكان الأدوميون من ألد أعداء اليهود، وحاربوهم في مختلف العصور، وفي عهد الرومان تمكن ملكهم هيرودوس الأدومي العربي من تأسيس دولة الهراذسة في أوائل العهد الروماني²².

ويؤكد قاموس "الكتاب المقدس" الأصل العربي لهيرودوس، فيذكر أن هيرودوس كان اسماً لعدد من حكام فلسطين وملوكها، أو بعض أجزائها أو بعض المناطق القريبة منها. وفي العهد الجديد "الأناجيل" ذكر أربعة أشخاص بهذا الاسم، وكان ذلك أثناء الحكم الروماني على فلسطين. ومن هؤلاء الأربعة هيرودوس الكبير (الابن الثاني لأنتيپاتر Antipater الأدومي الأصل) وكانت أمه أدومية، لذلك فهو لم يكن يهودياً. وقد بنى أماكن كثيرة في فلسطين لتخليد اسمه، ومنها قيصرية على شاطئ المتوسط، وحصن القدس، وزينها بالملاعب والقصور²³.

وتذكر موسوعة "الكتاب المقدس" أن الرومان هم الذين منحوا هيرودوس لقب "ملك يهودا"، وأنه كان ملك في الفترة ما بين 37-4 ق.م، وكان اليهود يكرهونه، وقتل منهم أفراد الأسرة الحشمونية الذين اعتبرهم مصدر خطر على ملكه. كما تذكر هذه الموسوعة أن الملك هيرودوس بدأ في بناء هيكل جديد في "أورشليم"، وأراد أن يكسب رضى رعاياه، ويدهش العالم الروماني بفخامة بنائه الذي تمّ في سنة 9 ق.م واستمر الهيكل قائماً حتى سنة 70 للميلاد حيث دمره الرومان. وهذا هو الهيكل الذي زاره السيد المسيح، وورد ذكره في "العهد الجديد"²⁴.



رابعاً: حائط البراق (حالة دراسية):

طبقاً للتخمينات اليهودية، وسَّع هيرودوس ساحة المعبد بمقدار ضعفي المساحة السابقة، حتى أصبحت تشمل سوراً تبدو بقاياها ماثلة للعيان في الحائط الغربي (المبكى) وأجزاء من الحائط الجنوبي والشرقي للحرم القدسي. وقد بقي من عهد هيرودوس في هذا الحائط 16-22 مدماكاً (صفاً)، بما في ذلك خمسة مداميك مكشوفة. وفي الزاوية الشمالية الشرقية هناك 11 مدماكاً على سطح الأرض، ترتفع على نحو يشبه البرج. أما في الزاوية الجنوبية الشرقية فيوجد 14 مدماكاً تحت سطح الأرض، وهناك حجر منحوت طوله سبعة أمتار ويزن أكثر من مئة طن.²⁵

أما في كتاب "المدينة القديمة"، للمؤرخ الإسرائيلي زئيف فلنائي، فيتم وصف الحائط بأن طوله الأصلي يبلغ 58 متراً، وارتفاعه 20 متراً، ويضم 25 مدماكاً من الحجارة، السفلية منها هي الأقدم. ويبلغ عمق الحائط المدفون تحت سطح الأرض نحو ثلث الحائط الظاهر فوقه. بينما يرتفع الرصيف الموجود أمام الحائط حالياً نحو 708 أمتار عن مستوى سطح البحر، وهذا أخفض مكان من أرض مدينة القدس القديمة الحالية.²⁶

ويرد في "الموسوعة اليهودية" تعريف للحائط بأنه "جزء من جدار جبل الهيكل الذي ظلّ معطلاً منذ تدميره الثاني في سنة 70 للميلاد، وأنه أضحى أكثر الأماكن قدسية في العادات والشعائر اليهودية، بفعل قربه من جدار الهيكل ومن مقدسات جبل الهيكل". وتضيف: "إن هذا الجزء خصص للبكاء على انهيار المعبد اليهودي وعلى منفى شعب إسرائيل، وإن أهميته تكمن في كونه يشكل شمعة تضاء من أجل إحياء الموروث الديني اليهودي في القرن العشرين، ويؤجج ذكريات المجد الإسرائيلي القديم، ويبعث الأمل في استعادته"²⁷.

ومن جهتها تورد موسوعة "الصهيونية وإسرائيل" تعريفاً للحائط بأنه الجزء المتبقي من الجدار الذي كان يحيط بأكمة جبل الهيكل في القدس، بعد إتمام التوسيعات التي جرت على الساحة الخارجية للمعبد بأمر من هيرودوس ملك يهودا! وبوصفه الجزء المتبقي من الهيكل الثاني، بات يمثل أكثر الجوانب قداسة بالنسبة لليهود، لدرجة أن هذا الحائط أضحى منذ قرون خلت مزاراً لأداء الشعائر والمناسك اليهودية، وأداء الصلوات.²⁸

وجاء في نيو ستاندارد جويش انسايكلوبيديا The New Standard Jewish Encyclopedia أن الحائط الغربي يشكل بؤرة استقطاب لليهود من جميع أنحاء العالم، وأن هذا الحائط ”عاد إلى السيادة اليهودية“ سنة 1967 لأول مرة منذ فترة الهيكل الثاني، وأن عالم الآثار الإسرائيلي بنيامين مازار Benjamin Mazar الذي نُقِبَ في المكان منذ سنة 1968 اكتشف بعض الآثار القديمة هناك دون أن تذكر هوية هذه الآثار²⁹، في إحياء جلي المرامي.

وفي ظلّ سعي اليهود والصهيونيين لإبراز الارتباط بالحائط الغربي والهيكل، ينفرد هذا الحائط بمكانة خاصة لديهم، ضمن محاولات إيجاد رموز دينية أو تاريخية للبرهنة على صلتهم المزعومة بأرض فلسطين، خاصة وأن لهذا الحائط تأثيراً كبيراً على الجموع اليهودية بمثوله المادي وبنائه الرائع الأخاذ. والملاحظ بالمقابل، حسبما تذكر ”الموسوعة اليهودية“، أن المصادر المتعددة التي تتحدث عن اليهود في القدس خلال العهود السابقة للقرن 16 ميلادي لم تذكر شيئاً عن تقديس اليهود للحائط الغربي بالتحديد، وأن التجمع اليهودي من أجل العبادة آنذاك كان يجري في جبل الزيتون إبان العهد المسمى فترة الجيونيم Geonim (رؤساء المدارس اليهودية في القرون السابع والثامن والتاسع الميلادية). وفي القرن 11 ميلادي ذكر مصدر يهودي أن المعبد اليهودي الكبير كان مبنياً في محاذة الحائط الغربي، أما بنيامين ”حاكم“ توديلا Benjamin of Tudela (ولاية يهودية مزعومة في القرن 12 ميلادي) فقال: إن قدسية المكان ليست في الحائط الغربي، وإنما تمتد إلى بوابة الرحمة شرقي الحائط. وفي القرن 13 ميلادي، كان هناك سكوت أو إغفال مطلق للحديث عن قدسية الحائط الغربي، حيث لم يشر إليه نحمانيدس Nahmanides الذي وضع وصفاً مفصلاً لموقع الهيكل سنة 1267 للميلاد، وكذلك الحال بالنسبة للمؤرخ الديني اليهودي استوري هافرشي، الذي وضع العديد من المؤلفات في العقود الأولى من القرن 14 ميلادي. أما مصادر القرن 15 ميلادي فقد كانت أشد فقراً في الحديث عن الحائط الغربي، ولم تورد أي وصف للقدس، ومن أبرز هذه المصادر: رحلات ميشولم من فولتيرا، وعوفاديا Ovadia من بيرتينورو، وسواها. ومع أن عوفاديا ذكر الحائط الغربي، لكنه لم يأت حينها بأي إشارة تبين مكان عبادة يهودية في الحائط³⁰.



ولدى تأمل التسميات المتداولة للحائط، أول ما يستدعي الانتباه ذلك الفارق الكبير في المعنى بين حائط البراق وحائط المبكى أو الحائط الغربي الذي يعبر عن واحد من أبعاد الصراع العربي - الصهيوني حوله، ذلك أن للتسمية مدلولاً يتعلق بهوية هذا الحائط، التي يريد كل من الطرفين الإسلامي واليهودي تكريسها. فبالنسبة للمسلمين، يرتبط حائط البراق بمعجزة الإسراء والمعراج الخالدة في العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، كونه يشكل في التراث الإسلامي مربطاً للبراق الذي أقلَّ الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والذي أقله أثناء عودته، بعد معراجه إلى السماء. ومن المعروف تاريخياً وبالتواتر والتوارث لدى أهل القدس والمسلمين عامة أنه يوجد محل يسمى "البراق" عند باب المسجد الأقصى المدعوب "باب المغاربة" ويجاوره مسجد البراق، الذي هدمه الصهاينة سنة 1968، الملاصق للجدار الغربي للحرم القدسي. أما تسمية حائط المبكى فقد جاءت من واقع قيام اليهود بالبكاء والنواح عنده في العصور المتأخرة، على خلفية ادعاءات متفرقة منها: إن الحائط المذكور هو جزء من بقايا معبدهم القديم. لكن، في ضوء العرض الخاص بهيرودوس وهيكله، يبدو جلياً أن المزاعم اليهودية الصهيونية حول حائط البراق تفتقر إلى أي منطق أو دليل، إذ لا علاقة لليهود بهذا الهيكل، على افتراض صحة اسمه، ناهيك عن التحفظات المتعلقة بصحة المعلومات الواردة بشأن "السرد الروائي" الذي تعتمده المؤلفات اليهودية والغربية، والذي وضع أساساً بما ينسجم مع التصورات الواردة في التناخ المكتوب في فترات متباعدة من قبل أحبار اليهود، والذي يعج بالمحتويات الأسطورية³¹.

وهكذا، بعد نسبة حائط البراق لما يسمى "التاريخ اليهودي"، راحت اليهودية والصهيونية تنسجان الأساطير حول علاقة اليهود بالحائط، في عمل واضح من أعمال التزوير والتضليل التي يعمدون إلى إدخالها في عقول البسطاء والسذج، سواء من بني جلدتهم أم سواهم. وجرى اصطناع واضح لقدسية الحائط عند اليهود في أزمنة متأخرة، سار مع محاولة الاستيلاء على المكان، لا فرق في ذلك بين انتزاع ملكية الأراضي من الفلسطينيين وتهجيرهم من بلادهم بالقوة الغاشمة، وبين اغتصاب حائط البراق الذي يعدُّ ملكاً إسلامياً ومعلماً بارزاً من معالم الحرم القدسي الشريف.

ولبيان بعض تفاصيل اللحظات الأولى لترجمة هذا الاغتصاب إلى حيز الفعل، يروي الصحفي الإسرائيلي عوزي بنزيمان Uzi Benziman في كتابه "القدس: مدينة دون سور" أنه في 1967/6/8، توجه إلى ساحة "الحائط الغربي" ديفيد بن جوريون وتيدي

كوليك رئيس بلدية القدس الغربية، برفقة يعقوب يناي Ya'acov Yannai مدير سلطة الحقائق الوطنية، ووقف الزعيم المسن بن جوريون أمام الحائط المقدس وبكى بمرارة، وبعد أن هدأ، أمر أحد الجنود المكلفين بالحراسة لكي يزيل من على الحائط لوحة "البراق" التي وضعت عليه في فترة الحكم الأردني. وقال يناي لرئيس البلدية: "يجب العمل على تنظيف المنطقة، ويجب أن نمنح الحائط رونقه". واستجاب كوليك، وتوجه إلى الجيش الإسرائيلي وإلى جهات أخرى، وبعد أيام تم إخلاء الحي السكني وهدمه (حي المغاربة) المجاور للحائط الغربي، وأقيمت في أسفل الحائط ساحة كبيرة مساحتها 20 ألف متر مربع، وكانت إزالة لوحة "البراق" من أكثر الأعمال التي رمزت لتبدل السلطة على الحائط³².

خامساً: تشويهات المستشرقين اليهود والصهاينة لهوية القدس وحضارتها وتراثها:

ضمن منظومة من التشويهات والاعتداءات التي تمس هوية القدس الحقيقية وحضارتها وتراثها، تصدر المستشرقون اليهود المحاولات الصهيونية الرامية للتهوين من قدسية القدس ومكانتها في الإسلام، وتأكيد أهميتها ومركزية النظرة إليها في التصورات اليهودية الصهيونية. ومن الإسهامات المتميزة التي تفضح تلك التشويهات، دراسة غنية قدمها الدكتور حسن عبد الرحمن سلوادي، عميد كلية الآداب في جامعة القدس، وتبين هذه الدراسة أن المستشرقين يعزون قداسة القدس في الإسلام إلى عوامل لا تنبع من صميم الديانة الإسلامية، وإنما هي مجرد تقليد لما تقرر بشأن هذه القداسة في الأصول الدينية والتصورات العقدية في الديانة اليهودية، وأجهد العديد من المستشرقين أنفسهم في تأويل النص القرآني، وعمدوا إلى التشكيك في صحة الأحاديث النبوية والرواية الإسلامية التي تربط القدس الشريف بالإسلام، بهدف التشويش على مكانة المدينة وقداستها لدى المسلمين، كما في حادثة الإسراء والمعراج. فيزعّم المستشرق إسحق حسون Isaac Hasson أن علماء المسلمين لم يتفقوا جميعاً على أن المسجد الأقصى هو مسجد القدس، إذ رأى بعضهم أنه يمر في السماء يقع مباشرة فوق القدس أو مكة، وهو يستعين بذلك بما كتبه المستشرق الفرنسي ديمومين الذي حاول التمييز بين القدس السماوية والقدس السفلى. ويقرر المستشرق اليهودي حسون أن معظم



الأحاديث التي تتناول فضائل بيت المقدس وتحدث عن منزلتها في الإسلام قد وضعت في أيام بني أمية، وهو بذلك يريد أن يقول إن القداسة التي أنيطت بالقدس قد نجحت وترسخت نتيجة للتطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة³³.

ويوضح د. سلوادي أن المستشرقين اليهود أثاروا مجموعة من القضايا التي تتصل بتاريخ القدس وحضارتها منذ بداية فتحها على يد المسلمين سنة 637 للميلاد، حتى سقوطها في يد الإنجليز سنة 1917، وكان الهدف من إثارة هذه القضايا التدليل على أن المدينة لم تكن لها أية مكانة مميزة في الإسلام، ولم تكن لها أهمية تذكر من الناحيتين الاستراتيجية والإدارية. ومن القضايا التي أثارها المستشرقون قضية فتح المدينة، حيث شككوا في الرواية التي تؤكد قدوم عمر بن الخطاب لتسلم بيت المقدس بطلب من صفرونيوس. ويوردون روايات عديدة متناقضة حول الشخص الذي تسلم المدينة وعقد الصلح مع أهلها ويرجح المستشرق اليهودي غويتاين رواية كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" والتي تنص على أن المدينة سُلِّمت إلى قائد مغرور لم يبرز بشكل خاص في القتال هو خالد بن الفهمي، وكان شرط الاستسلام واضحاً وهو فتح البلاد لسلطة المحتل. ولعل أشد الروايات انتقاصاً من مكانة المدينة رواية هربرت يوسه التي تؤكد أن عمرو بن العاص هو الذي فتح المدينة وتسلمها من أهلها، لأن عمرو لم يدخل الإسلام إلا في السنة الثامنة للهجرة، كما أنه لم يكن من أكابر الصحابة، وذلك لا يتناسب والمكانة التي تحتلها المدينة التي أخذت تسمو شيئاً فشيئاً، وتتطلب أن يكون فاتحها شخصية إسلامية مرموقة³⁴.

وتطلع المستشرقون لعزل المدينة المقدسة عن هويتها العربية الإسلامية، بالتدليل على أن الفتح العربي كان مرحلة عابرة في تاريخ المدينة، وأن الوجود العربي فيها كان ثمرة من ثمار هذا الفتح الطارئ. وبالمثل، حاول المستشرقون اليهود التهوين من منزلة القدس أيام الغزو الصليبي، حيث ذهب بعضهم، مثل عمانوئيل سيفان، إلى القول إن احتلال المدينة وسقوطها في يد الفرنجة سنة 1099 للميلاد لم يكن له صدق في أرجاء العالم العربي والإسلامي، وكذلك تفريط ملوك المسلمين بها والتنازل عنها للملوك الصليبيين، مثلما فعل الملك الكامل حين سلمها وبيت لحم إلى الملك الصليبي فردريك الثاني Frederick II في سنة 1129 للميلاد دون أن يكون لهذا الحدث رد فعل يتناسب مع أهميته وخطورته. ويدعي عمانوئيل سيفان أن اللاجئين المسلمين الذين هربوا من

المناطق المحتلة تركوا لنا مراثي كثيرة، بيد أن احتلال القدس لا يذكر فيها أبداً. ويتساءل: كيف يمكن تفسير هذا السكوت الغريب بالنسبة إلى المدينة الثالثة في قدسيتها بالنسبة للإسلام؟! ثم يجيب سيفان: لا شك أن تقلبات الزمن تقدم لنا تفسيراً جزئياً، فالمدينة تعرضت للاحتلال على يد السلاجقة الذين انتزعوها من يد الفاطميين سنة 1071 للميلاد، وأعاد الفاطميون احتلالها سنة 1098 للميلاد، أما الاحتلال الصليبي الذي جاء بعد سنة من ذلك فقد اعتبر تغييراً جديداً للحكام. ويجزم سيفان أن الرأي العام الإسلامي ظلّ يبدي لا مبالاة إزاء مصير القدس على امتداد النصف الأول من القرن 12 ميلادي، ويدعي الكاتب أن من أسباب المكانة الضعيفة لفكرة قدسية القدس في أذهان المسلمين عامة، معارضة قسم كبير من رجال الدين والقضاء المسلمين، بشدة، المكانة المحترمة التي أعطاها الصوفيون للقدس. وباعتقاده، تكشف القوة التي اكتسبتها فكرة القدس فقط في عهد الأيوبيين ورثة صلاح الدين، وتحولت الفكرة إلى قوة دافعة للأزمات الداخلية ضمن السلطنة³⁵.

ولكن د. سلوادي يؤكد أن حوادث العهد الصليبي الأيوبي عززت مكانة القدس، وأن ردود الفعل التي أعقبتها أثبتت أن للقدس مكانة لا تعادلها سوى مكانة مكة والمدينة. وتحدثت المصادر القديمة عن دعوة للجهاد ضدّ الصليبيين وتخليص القدس من أرجاسهم، ومنها وصف ابن كثير، وهو من المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة، لردود الأفعال، بقوله: ”سنة 492هـ أخذت الإفرنج بيت المقدس، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى الطرق مستغيثين على الإفرنج إلى الخليفة، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد“. وهذا هو ما حدث بعد تسليم الملك الكامل المدينة المقدسة للصليبيين، وما أحدثه من دور هائل وصفه مجير الدين الحنبلي، بقوله: ”إن المسلمين حين سمعوا بأنباء تسليم المدينة غضبوا واشتد بكأؤهم“³⁶.

كما عني المستشرقون اليهود بالبحث عن أي خبر أو إشارة تسعفهم في اختلاق دور تاريخي لليهود في التصدي للعدوان الصليبي، وتشكيل ذلك الدور وصياغته بطريقة توحى أنهم أصحاب الأرض، وأنهم تعرضوا للعدوان ودافعوا عن البلاد مثلما فعل العرب. فهم يتحدثون عادة عن اليهود الذين مكثوا في فلسطين دفاعاً عن مدنهم وقراهم التي هاجمها الصليبيون، ويركزون الحديث على مقاومة اليهود القاطنين في القدس واستبسالهم في الدفاع عن المدينة³⁷. وعلى سبيل المثال، جرى التوسع في الحديث عن



”الاستيطان اليهودي في القدس خلال الحملات الصليبية“، وتمّ التركيز على أن ”اليهود كانوا بين المدافعين عن المدينة، وكان حي اليهود أحد الهدفين الأساسيين للهجوم الصليبي“³⁸. لكن د. سلوادي يؤكد أن ”اليهود في تلك الفترة لم يكونوا مؤهلين للقيام بدور المقاومة التي تحاول الدعاية الصهيونية اختلاقه لهم، لأنهم لم يكونوا يعيشون في كيان سياسي مستقل، ولم يكونوا يملكون الجيوش أو الوسيلة العسكرية التي تمكنهم من التصدي للعدوان الصليبي، ولم يشاركوا المسلمين عبء التصدي والمواجهة، بل هناك شواهد دالة على تواطؤ العديد منهم مع القوات الطارئة“³⁹.

وزعم اليهود والمستشرقون أن القدس لم تكن سوى مدينة صغيرة معزولة ومهملة لم تشد إليها الأنظار، وذلك للتقليل من أهميتها الإسلامية من الجوانب السياسية والثقافية والديموغرافية. فكتب المستشرقان موشيه معوز وشلومو غويتاين أن القدس ”لم تلعب في الإسلام دوراً مركزياً ثقافياً، بل كانت مدينة جانبية لا تأثير يذكر لها“. وذهبت المستشرقة حافا لاتسروس يافيه، من الجامعة العبرية بالقدس، إلى أنه على الرغم من قدسية القدس في الإسلام، لكن لم تقطنها إلا أعداد قليلة نسبياً حتى نهاية القرن 19 ميلادي، وأنها لم تثر انتباه رجال الدين والسياسة العربية إلا في عشرينات القرن العشرين ميلادي بعد ظهور النزاع حول حائط المبكى. وأورد دروري أحد المستشرقين اليهود عبارة على لسان الراي عوفاديا حين زار القدس سنة 1488 للميلاد، يقول فيها ”إن القدس مدينة خربة مهجورة“. وقد استشهد دروري بهذه العبارة بطريقة توحى أنها حقيقة مسلم بها. مع العلم بأن الفترة التي زار بها هذا الراي القدس كانت المدينة تعج بالإنشاءات العمرانية كالمساجد والمدارس والزوايا والأربطة والمباني السكنية وشبكات المياه التي أقيمت بتوصية من سلطان المماليك قايتباي، والتي ما تزال حتى يومنا هذا شاهداً على المجهودات العمرانية الضخمة التي نهض بها المماليك في القدس الشريف⁴⁰.

وفي سياق الأحكام الجاهزة التي تنطوي عليها مقولات الاستشراق الصهيوني حول تاريخ القدس، يرى المستشرقون الصهاينة أن المصادر العربية الإسلامية بشأن القدس في الفترة الأولى التي تلت الفتح متناقضة متضاربة ومنمطة، أي أنها على شكل نماذج من القصص الشعبية التي أخذها الإسلام إما من الأديان الأخرى وخصوصاً اليهودية، أو تلك التي اتخذت شكل النمط والنموذج المشابه للأدبيات والأساطير الشعبية. وأن

القدس لم تتمتع بأية مكانة خاصة لا على المستوى الديني ولا على المستوى السياسي في العصور العربية الإسلامية الأولى، ولم تكتسب القدس مكانتها إلا بعد مضي قرون عديدة.

سادساً: تركيز صهيوني على هامشية القدس لدى المسلمين:

انتهج معظم الباحثين والمهتمين الصهاينة طرائق المستشرقين اليهود في ازدياد المكانة المركزية للقدس وتراثها الحضاري والثقافي لدى العرب والمسلمين، مع نفي أو تجاهل أي وجود عربي وإسلامي في القدس، مادياً وحضارياً وثقافياً، حتى ليقول أحد المفكرين الإسرائيليين البارزين إنه "لم يتكون أي شيء في هذه المدينة قبلنا ولا بعدنا، ومنذ أن تركناها لم يخرج منها أي دين أو نبوءة أو فكرة مثالية، وهذا برهان على انتمائنا لها وانتمائها إلينا، نحن الذين أوجدنا هذه المدينة والآخرون هم الذين دنسوها"⁴¹. وكان هناك من قال منهم مثلاً: "إن القدس لم تذكر أبداً بالقرآن، ولكن التاريخ الحديث ينسب أهمية بالغة للمسجد الأقصى بأنه القدس، حتى لو لم يكن هناك مسجد في القدس في ذلك الزمان، ولم تكن هناك أي قدسية خاصة للقدس قبل احتلالها، حتى القرن السابع، وهي لم تكن معروفة باسم الأقصى"⁴².

سابعاً: هوية القدس وحضارتها وتراثها في مناهج التعليم الإسرائيلية:

انسجاماً مع التوجهات الصهيونية التقليدية، يصرّ واضعو المناهج والبرامج التعليمية الإسرائيلية على تقزيم الوجود الإسلامي والعربي في القدس، من خلال ما يدسونه من سموم داخل الكتب. وتركزت المنطلقات التي اعتمدها في هذا المنحى على مجموعتين من المفاهيم والمصطلحات؛ إحداهما تتعلق باليهود، والأخرى تتعلق بالعرب والمسلمين. ويمكن إجمال ذلك بما يلي⁴³:

1. تمثّل "أورشليم" رمز الاستعلاء والتفوق العرقي اليهودي على بقية الشعوب؛ لأنها تعدّ مجمّع صفوة الأمة اليهودية من أنبياء اليهود وملوكهم وقادتهم عبر



التاريخ، ولأن اليهود يرون في أنفسهم أنهم الشعب الذي انتقاه الله وجاء بهم وغرسهم في جبل ميراثه، حيث بنى فيها داود ملكه وبنى سليمان بيت الرب.

2. التنكر للوجود التاريخي العربي والإسلامي في المدينة المقدسة، واعتبارها مدينة يهودية خالصة يقترن وجودها التاريخي بوجود المؤسسات والمعابد والهياكل اليهودية، وأن الحضور التاريخي لليهود فيها لم ينقطع على الرغم مما تعرضت له من ترميم هدم، حيث لم تلبث هذه المعابد والقصور والهياكل اليهودية أن أعيدت لها أمجادها في مراحل متعددة في التاريخ، وخاصة بعد إعادة توحيد القدس وجعلها عاصمة أبدية لـ "دولة إسرائيل" الحديثة بعد عدوان حزيران/ يونيو 1967.

3. اعتبار الفتح العربي الإسلامي للمدينة المقدسة احتلالاً، وأن الخليفة عمر بن الخطاب قاد جيش المحتلين.

4. "أورشليم" قبله أنظار اليهود وبؤرة تتجمع حولها اليهودية، وما المسيحية والإسلام سوى عقيدتين تأثرتا باليهودية التي تعتبر القدس محوراً ومعقد رجائها.

5. اعتبار سائر المعابد والكنائس والمساجد في القدس أماكن أثرية يهودية أبدية بناها المسيحيون والمسلمون على أنقاضها، كما هو الحال بالنسبة للحرم القدسي الشريف الذي بُني كما يدعون على أنقاض هيكل سليمان في جبل الموريا، الذي اشتراه سيدنا إبراهيم وهياه النبي داود فيما بعد ليكون مقراً في عاصمته "أورشليم".

6. وصف العرب أهالي مدينة القدس بأنهم مخربون ودخلاء، وأن عملية طرد الغزاة من الصليبيين، على يد القائد صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس، جاءت بفعل أعمال تخريبية تدميرية قام بها الأيوبيون والمماليك المسلمون.

7. استغلال أي فرصة لزرع الفتنة بين أبناء الشعب الواحد، بالادعاء أن القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي طرد غالبية المسيحيين من القدس بعد أن سيطر عليها سنة 1187 للميلاد وأعاد لها طابعها الإسلامي، في حين سمح لليهود بالعودة إلى القدس بعد أن حرّمهم منها الصليبيون.

8. جاء احتلال القدس من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي سنة 1967 "نعمة" على أهلها، لأن القدس شهدت في عهد الاحتلال سائر مظاهر التقدم والتطور الحضاري الذي تتبناه الصهيونية دائماً، كما جاء هذا الاحتلال لتخليص القدس من "العبث والتخريب العربي" حين كانت خاضعة للسلطة العربية.
 9. اعتبار العرب الفلسطينيين في القدس مجرد طوائف منقسمة على نفسها، وكأنها لا تنتمي إلى شعب واحد، فالمسلمون مقسمون إلى اتجاهات ومذاهب، والمسيحيون إلى طوائف وجماعات.
 10. الإيحاء بتواصل الوجود اليهودي الديموغرافي في القدس، حيث تغلب دائماً العنصر اليهودي على العنصر العربي سكانياً.
 11. الدعوة الدائمة إلى تطويق القدس بالمستوطنات اليهودية لضمان السيطرة اليهودية الدائمة على مدينة القدس وضواحيها.
- يتمّ تشريب المنطلقات التربوية الصهيونية التي مرّ ذكرها، حول القدس وتاريخها وتراثها الثقافي، بصورة تفصيلية، ضمن العديد من الكتب التعليمية الإسرائيلية عن القدس والصفة الغربية، وفيما يلي بعض الحالات الدراسية:

1. كتاب "يروشلايم يهودا فشومرون"، تأليف إيعيزر فيتكين:

صدر هذا الكتاب سنة 1984، عن قسم المناهج الدراسية في وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية. وسار المؤلف فيتكين، من خلال اختيار اسم الكتاب، على النهج ذاته الذي يتبعه المؤلفون اليهود للكتب الدراسية التعليمية المقررة، من حيث التنكر للوجود التاريخي العربي الإسلامي. وتدرّج المؤلف في تسلسله التاريخي للوصول بالطالب إلى محصلته الأخيرة وهي ديمومة الوجود اليهودي واستمراره وتواصله على أرض فلسطين، وقد تناسى المؤلف في أثناء طرحه "المادة العلمية" الحقب التاريخية العربية الكنعانية واليبوسية في هذه المدينة، منذ 3500 ق.م وحتى القرن 13 ق.م، بالنسبة للتاريخ الفلسطيني القديم في هذه المنطقة. وهذه مقتطفات مما ورد في هذا الكتاب تتعلق بموضوع البحث⁴⁴:

- "إن جعل أورشليم عاصمة لإسرائيل لا يعزى إلى قوة الإعلان عن مركزها ومكانتها، بل بسبب تاريخ اليهود التراثي فيها".



- "احتلال العرب المسلمين أرض إسرائيل تمّ في 638 للميلاد. فبسطوا نفوذهم على أورشليم وطبعوها بطابعهم. والخليفة عمر بن الخطاب كان قائداً لجيش المحتلين، وبعد أن استتب الحكم للعرب، قام المسلمون بتنظيف موقع الهيكل المقدس الذي كان مغطى بالزباله والقاذورات ليقيموا فيه مبناهم الرائع قبة الصخرة والمسجد الكبير".
- "يرى بعضهم أن الآثار والمواقع العربية والإسلامية التاريخية لم تكن أصيلة ذات جذور تاريخية، إنما أقيمت على أنقاض الآثار والمواقع اليهودية والرومانية القديمة كالمسجد والآثار التي اكتشفت عند الحائط الغربي الجنوبي في جوار المسجد الأقصى".
- أورد المؤلف صورة الصخرة المشرفة المقامة، حسبما يقول، في منطقة الهيكل المقدس، أما الصخرة فكان يطلق عليها حجر الأساس (حجر الزاوية) كما ورد في تقاليد "إسرائيل"، حسب أقوال النبي حزقيال Ezekiel. وأراد المؤلف البرهنة على أن قدسية القدس "أورشليم" مردها النظرة اليهودية القدسية لهذه المدينة وليس للعرب المسلمين بقوله: "إن المسلمين، حسب تقليدهم الإسلامي، هم فقط الأحفاد الحقيقيون لإبراهيم، وإن الصخرة نسبت إلى مكان المذبح الذي عليه ربط إبراهيم إسحاق، لذلك أقام المسلمون هناك بناءهم الضخم الذي يعد استمراراً لهيكل سليمان، ويرمز البناء إلى انتصار الإسلام على الأديان والمعتقدات الأخرى".
- لم يخصص المؤلف سوى خمس صفحات (42-46) للحديث عن التاريخ العربي والعربي الإسلامي في القدس، إذ اقتصر حديثه على أن الآثار والمواقع العربية والإسلامية التاريخية لم تكن أصيلة ذات جذور تاريخية، إنما أقيمت على أنقاض الآثار والمواقع اليهودية والرومانية القديمة كالمسجد والآثار التي اكتشفت عند الحائط الجنوبي في جوار المسجد الأقصى، حيث اكتشفت آثار لقصر أحد ملوك بني أمية.
- أفرد المؤلف أربعة فصول كاملة للحديث عن المستوطنات الصهيونية في ضواحي القدس العربية المحتلة والضفة الغربية.

2. "يروشلايم يهودا فثومرون"، تأليف رنا هفرون:

صدر هذا الكتاب سنة 1983، عن مؤسسة عام عوفيد في تل أبيب، وفق منهاج التعليم الجديد لوزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية. وفيه تركّز المؤلفة على "أورشليم"، عبر التعرف على البنية العمرانية وتطورها التاريخي، في ضوء المخططات الهندسية اليهودية، باعتبارها "عاصمة إسرائيل الأبدية". والتركيز على ما يعدّ تواصلًا تاريخياً لليهود في أرض فلسطين وخاصة في القدس، للتدليل على التاريخ الطويل المقدس لليهود، المعبر عنهم بهيكلهم وآثارهم الماثلة للعيان والتي من أهمها حائط المبكى. وتقول: أما المسلمون فقد بنوا على جبل الهيكل المقدس المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة⁴⁵.

3. كتاب "دروس في التاريخ":

صدر هذا الكتاب سنة 1987 عن مؤسسة فلن - معلوت للنشر، وهو مخصص للتاريخ القديم والوسيط ومقرر للمرحلة الثانوية، ويدرس في المدارس الرسمية الحكومية، ويعدّ من الكتب المدرسية المطوّرة. ويتضمن الكتاب محاولات كثيرة للتشويه والتحريف في التاريخ الإسلامي والعربي، مثل الإيحاء بأن الإسلام في معتقداته متقلب سياسياً لا يستقر على أصول وثوابت، فقد ورد فيه أن أسباب بناء مسجد قبة الصخرة منع المسلمين من الهجرة والحج إلى مكة، حيث يمكن للناس الطواف حول قبة الصخرة بدل الطواف حول الكعبة المشرفة، وتحويل الناس عن تأثرهم بروعة بناء كنيسة القبر المقدس. ووصف الكتاب "الإسراء والمعراج"، إحدى العقائد الإسلامية البارزة، بالحكاية أو الأسطورة⁴⁶.

4. كتاب "وقائع تاريخ شعب إسرائيل"، تأليف ب. أحياءوم. هرباز:

صدر هذا الكتاب سنة 1972، عن مركز المناهج التعليمية في وزارة المعارف الإسرائيلية، وهو مقرر لدراسة "تاريخ شعب إسرائيل" للصف السابع الأساسي. وقد ورد فيه مثلاً أنه حتى "يضمن محمد عدم معاداة اليهود له، وقّع معهم اتفاقية تقضي بأن يتوجه المسلمون في صلاتهم نحو مدينة القدس، ولكن عندما ساءت العلاقة بين محمد واليهود أجبر رجاله بأن يتخذوا الكعبة قبلة لهم في الصلاة بدل مدينة القدس". ويحاول الكتاب أن يبين أن اليهود ساعدوا العرب أثناء الفتح الإسلامي لفلسطين، مدعياً بأنهم فرحوا بمجيء المسلمين، خاصة أنهم كانوا يكرهون خيانة القيصر الروماني هرقل Hercules وغدره ومطاردته المستمرة لهم، وأنه بمجرد دخول المسلمين إلى القدس شرع اليهود



بإرشاد القواد المسلمين إلى أماكن وجود القوات الرومانية وتمركزها، والسبل التي توصل إلى تجمع القوات البيزنطية. ويورد الكتاب أن "ال خليفة عمر بن الخطاب كان قد عين عدداً من اليهود في وظائف مختلفة"، وأنه مكافأة لهم على مساعدتهم ووقوفهم مع العرب خلال الفتح الإسلامي سمح الخليفة عمر بن الخطاب لسبعين عائلة يهودية أن تسكن في مدينة القدس. ولكن لدى مطالعة نصّ العهدة العمرية لأهل القدس (للبطريك صفرونيوس) نجد أنها لم تخلُ من ذكر إسكان سبعين عائلة يهودية في مدينة القدس فحسب، بل على العكس أجابت العهدة صفرونيوس إلى طلبه فمنعت سكنى اليهود في القدس⁴⁷.

ثامناً: الإجراءات الإسرائيلية لتغيير مكانة القدس:

اعتمدت "إسرائيل" سياسة الخطوات التدريجية المتتابعة في السيطرة على القدس، وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، استكمالاً للواقع الاستيطاني اليهودي الذي فرضته الصهيونية حتى سنة 1948، خارج أسوار القدس، في المنطقة التي سميت القدس الغربية، وضمّ الشطر الغربي للمدينة رسمياً سنة 1950، بعد اتفاقية الهدنة الإسرائيلية - الأردنية سنة 1949. وتطلعت "إسرائيل" إلى التهام منطقة القدس بكاملها، إلى أن انتقلت عملية احتلال القدس إلى مرحلة جديدة، بعد حرب حزيران/ يونيو 1967. ففي هذه المرحلة اتخذت "إسرائيل" العديد من الخطوات السياسية الرامية لضم القدس الشرقية المحتلة، عبر الاعتداء على هويتها وجغرافيتها وتاريخها، ومن أبرزها:

1. أقر الكنيست في 1967/6/27 تعديلاً لقانون القضاء والإدارة الإسرائيلية بإدخال فقرة فيه تتضمن سريان هذا القانون على "كل منطقة من أرض إسرائيل تحددها الحكومة بموجب أمر". كما أقر الكنيست في التاريخ ذاته والجلسة ذاتها تعديلاً لقانون البلديات الانتدابي الصادر سنة 1934 ويتضمن التعديل إدخال فقرتين على هذا القانون؛ تنصّ الأولى على أنه يحقّ لوزير الداخلية، بناء على رأيه الخاص، توسيع حدود بلدية ما بإعلان إدخال منطقة محددة في قانون القضاء والإدارة، وتتضمن الثانية أنه حيثما وسع وزير الداخلية منطقة بلدية ما، من حقه أن يعين أعضاء إضافيين من سكان المنطقة المضمومة⁴⁸.

2. أصدر وزير الداخلية الإسرائيلي في 28/6/1967 أمراً إلى رئيس بلدية القدس المحتلة بتوسيع مجال بلدية القدس، بحيث يضم منطقة تنظيم أمانة القدس التي وقعت تحت الحكم الأردني⁴⁹. وفي اليوم التالي أصدرت سلطات الاحتلال أمراً يقضي بحلّ مجلس أمانة القدس، ومصادرة أملاكه⁵⁰. وتمّ إبعاد أمين القدس إلى عمّان، وأصبحت الأراضي بحوزة الحارس الإسرائيلي لأملك الغائبين واعتبرت أملاك دولة، وتمّ إلغاء القوانين الأردنية ووضعت بدلاً منها تشريعات وقوانين إسرائيلية⁵¹.

3. صدر في تموز/ يوليو 1967 أمر حكومي يحدد "أورشليم مدينة واحدة، غير قابلة للتقسيم، وهي عاصمة دولة إسرائيل". وأقر الكنيست في 30/7/1980 قانوناً يذكر أن "أورشليم الكاملة الموحدة هي عاصمة إسرائيل، ويكون فيها مقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا"⁵².

4. نفذت سلطات الاحتلال الإسرائيلي عمليات متعددة لتهوديد القضاء النظامي والشرعي الإسلامي، فأغلقت جميع المحاكم النظامية في المدينة، ونقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى مدينة رام الله، ودمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الإسرائيلية المماثلة القائمة بالجزء المحتل سابقاً من المدينة، ونقلت إليها جميع سجلاتها وأثاثها، وطلبت من القضاة والموظفين الفلسطينيين تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الإسرائيلية، وفصلت القضاء النظامي القائم بالقدس عن شؤون الضفة الغربية وألحقته كلياً بالقضاء الإسرائيلي. وشمل التجاهل لقرارات المحاكم الإسلامية وأعمالها عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف وغيرها، مما له علاقة بالأحوال الشخصية اليومية للسكان⁵³.

5. في مجال تهويد التعليم العربي، قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي، منذ أيام الاحتلال الأولى، بوضع أيديها على جميع المدارس الحكومية ومكاتب مدير التعليم الأردني في المدينة، وأعلنت أن عملها هو إخضاع التعليم في جميع المدارس الحكومية لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس الفلسطينية في المناطق المحتلة منذ 1948. كما أعلنت في الوقت ذاته إلغاء برامج التعليم الأردنية وجميع الكتب المدرسية الخاصة بها، وطلبت من مدير التعليم الأردني وموظفي مكتبه، وجميع



مديري مدارس القدس ومديراتها ومعلميها ومعلماتها، الالتحاق بأجهزة التعليم الإسرائيلية الخاضعة لوزارة المعارف وبلدية القسم المحتل سابقاً من المدينة. وكان في القدس عند الاحتلال الإسرائيلي ثلاثون مدرسة حكومية عربية، منها 18 للبنين، و12 للبنات، فضلاً عن 14 مدرسة طائفية وأهلية. وقد قامت سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي بهدم مدرسة "بنات الأقصى" الواقعة في حي المغاربة، كما قامت بتطويق المدرسة الصناعية الثانوية التابعة للجنة اليتيم العربي، الواقعة قرب مطار القدس، بالمصانع من جهاتها الأربعة، وأغلقت الطريق الموصلة إليها، وفجرت الألغام حولها وألحقت بها تصدعات، بقصد الضغط على إدارتها وإرغامها على التنازل عنها ومبادلتها. وسنت سلطات الاحتلال "قانون الإشراف على المدارس" لسنة 1969، وكان بمجمله حلقة جديدة من حلقات التهويد الإسرائيلية للقدس. وكانت برامج التعليم الإسرائيلي تستبعد كل ما ينمي روح الانتماء للحضارة الإسلامية، وتستدرج الطلاب، وبخاصة الجيل الجديد منهم، إلى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم الإسلامية، بهدف محو شخصيتهم وهويتهم الأصلية، وعندها يسهل صهرهم كلياً في بوتقة الشخصية اليهودية الإسرائيلية⁵⁴.

6. نظمت سلطات الاحتلال احتفالات ومهرجانات وعروضاً ثقافية وفنية تحت شعار "أورشليم - 3000 عام" ابتدأت أواخر سنة 1995 حتى نهاية سنة 1996، في مسعى واضح لإنكار الأصل العربي والطبيعة العربية الإسلامية لحضارتها، والزعم بأن المدينة أسست كعاصمة لليهود على يد الملك داود.

7. بذلت "إسرائيل" جهوداً مستميتة، أواخر سنة 2000، لتسجيل ما يسمى جبل داود (جبل صهيون) كمكان أثري يهودي في اليونسكو، واتخذت اليونسكو في حزيران/يونيو 2001 قراراً بعدم الموافقة على هذا التسجيل، بفعل التحرك العربي، وتم فصل الأسترالي الذي ضلّ أمين عام منظمة اليونسكو في الموضوع⁵⁵.

8. بعد إخفاق محاولات التوصل إلى تسوية مع السلطة الفلسطينية حول القدس وسواها في كامب ديفيد Camp David وطابا Taba، أقر الكنيست "قانون أساس القدس" بالقراءة الثالثة وبأغلبية 84 عضواً ومعارضة 19 عضواً، وينص هذا القانون على أنه "لن تنقل لأي جهة خارجية ذات طابع سياسي سلطوي، أو إلى

أي جهة خارجية شبيهة بذلك، سواء بشكل دائم أم لفترة محدودة، أي صلاحية تتعلق بمجال القدس⁵⁶. والمعنى العملي لذلك، هو أن كل حكومة توافق على نقل مناطق تابعة للقدس، مثل العيزرية وأبو ديس وغيرها إلى السلطة الفلسطينية ستكون بحاجة إلى أغلبية 61 عضو كنيست على الأقل، من أجل إلغاء بنود في القانون المذكور.

9. بدأت الحكومة الإسرائيلية، منذ أواخر 2007، بتسجيل عقارات في البلدة القديمة في القدس المحتلة في سجلات الطابو، مرسخة بذلك ملكية يهودية لعدة عقارات من الناحية القانونية الفعلية. وبحسب معطيات معهد القدس للدراسات الإسرائيلية تبلغ مساحة الحي اليهودي حوالي 133 دونماً، ويشكل 15% من مساحة البلدة القديمة، كذلك "تمتلك"؟! "إسرائيل" أربعين دونماً أخرى في البلدة القديمة وتقع خارج الحي اليهودي. وخلال الأعوام الماضية اشترت الجمعيات الاستيطانية اليهودية أراضٍ في البلدة القديمة، بينها أراضٍ تقع خارج الحي اليهودي أيضاً، وخصوصاً في الحي الإسلامي⁵⁷.

ضمن هذه الوقائع وسواها، يرى المفهوم الإسرائيلي في القدس "ضرورة جيوسياسية لإسرائيل"، حسب شاول كوهين Shaul Cohen، الأستاذ في جامعة كلارك الأمريكية، لكن الإسرائيليين يلاحظون أنه يتطور في المدينة نظام جيوسياسي مزدوج، ذو نوعين أو طرازين؛ فمن جانب ثمة نظام فرعي للنظام الجيوسياسي الإسرائيلي العام، ومن الجانب الآخر ثمة نظام خاص بنوعه يربط بين "إسرائيل" والصفة الغربية⁵⁸. وفي ظل خصوصية النظام الثاني، الذي يرتبط بتحديات التهويد، يكتسب كل رمز فلسطيني (عربي أو إسلامي) في القدس الشرقية قدراً فائق الأهمية. ويصير مجرد وجود أي مؤسسة وطنية فلسطينية أو أي نشاط فلسطيني هناك في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بمثابة قوة ضاغطة باتجاه تقرير مصير القدس، خلافاً للتوجهات الإسرائيلية. وهو ما يفسر بعض أوجه السعي الإسرائيلي المحموم لتعطيل هذه القوة، عبر حظر المؤسسات التابعة للسلطة الفلسطينية في القدس الشرقية، واستخدام شتى وسائل التضييق على المواطنين العرب ضمن هذه المدينة وهيئاتهم وفعاليتهم.



تاسعاً: المعالم العربية والإسلامية بين التدمير والطمس والتهويد:

اتخذت سلطات الاحتلال العديد من الإجراءات الرامية إلى إزالة المعالم الحضارية والثقافية والدينية الخاصة بالعرب والمسلمين في القدس، أو طمسها وتهويدها، مثل تدمير حي المغاربة في 1967/6/10 وترحيل أهله، وإزالة مسجد حي الشرف، وتحويل مسجد النبي داود إلى كنيس، وإزالة الكتابات القرآنية والزخارف وسرقة التحف الفنية والأثرية التي كانت موجودة فيه، وتحويل جزء من مسجد النبي صموئيل شمال غرب القدس إلى كنيس. ولجأت سلطات الاحتلال كذلك إلى طمس مقابر المسلمين وإزالة عظامهم، كما جرى لمقبرة باب الرحمة "الأسباط"، حيث أتت حفريات الجرافات الصهيونية على مئات القبور وتبعثرت عظام الموتى بحجة التطوير والأعمار، وكذلك ما حدث في مقبرة مأمّن الله العريقة، حيث سيطر اليهود على هذه المقبرة وتوقفت عملية دفن الموتى، وتناقصت مساحتها التي لم يتبقّ منها سوى 19 دونماً بعد أن كانت 136 دونماً، وهي تستخدم اليوم كمقر رئيسي لوزارة التجارة والصناعة الصهيونية⁵⁹. ويجري العمل حالياً على إقامة ما يسمى "متحف التسامح" على جزء كبير من هذه المقبرة.

وقامت سلطات الاحتلال بإزالة آثار القرى العربية المقدسية وطمسها، واستخدام حجارتها في بناء المستوطنات اليهودية، وكل من يسير في قرى القدس من المصرة وباب العمود حتى المالحه ومستشفى هداسا، يرى بشكل واضح أن أجزاء الكثير من الأسوار بنيت من حجارة القرى العربية، حيث نجد ذلك في مساحات الجامعة العبرية ومستشفى هداسا ومنطقة محنية يهودا والمالحه وغيرها، إذ تتجنب بلدية القدس الصهيونية أحياناً البناء بالإسمنت المسلح لأسباب جمالية، ولكي يخيل للزائر أن هذا السور بُني قبل مئات السنين، ولكي يعملوا على إعادة استخدام هذه الآثار في تركيب تاريخ يهودي مزور. وامتدت عمليات السرقة والتخريب الصهيونية للآثار لتبديد مناطق بأكملها، كما هو الحال في قرية طليلية الواقعة بين بيت إكسا وبيت حنينا، حيث أقيمت عليها مستوطنة راموت Ramot إلى الشمال من القدس، كما بنيت مستوطنة جفعات زئيف Givat Ze'ev إلى الشمال من قرية الجيب على أنقاض عدد من الخرب، وتمّ كذلك تدمير خربة عين الدوير على أراضي الجيب وبيتونيا لتوسيع جفعات زئيف، وتعدّ قرية الجيب من

أغنى مناطق القدس في موجوداتها الأثرية وقيمتها العلمية، فهي تحتوي على آبار ومدرجات وعيون محفورة بالصخر وأقبية وأواني فخارية وأدوات صناعة الزيت والعنب، وقد تعرض هذا الموقع لسرقة وإهمال وعبث خطير⁶⁰.

وفي مجال الدعاية الصهيونية، يقوم أدلاء السياحة اليهود بدور تضليلي سافر، مشبع بالتزييف والتزوير، خلال إرشادهم السائحين عن القدس، فهي حسبما يدعون "مدينة ديفيد وشلومو"!!، والعرب "احتلوها" وبنوا مقدساتهم على أنقاض كُنس اليهود ومقابرهم ومنازلهم، وهو ما يترك أثراً خطيراً ضد كل ما هو عربي إسلامي في المدينة المقدسة⁶¹.

عاشراً: تهويد الأسماء العربية الإسلامية المقدسية وتزويرها وطمسها:

تعبيراً عن الإدراك الإسرائيلي التام لأهمية التسمية ودلالاتها الخاصة بمعالم فلسطين، حرصت "اللجنة الحكومية للأسماء" على إشراك العديد من المؤسسات والهيئات والفعاليات الإسرائيلية في عملية التسمية. وكان ما يخص القدس لا يخرج عن هذا السياق، وقد روعي في عملية التسمية عدد من الاعتبارات، تتعلق بالتاريخ المزعوم أو المتصور وبالقراءة المقولبة أو التحريفية لمعطيات علم الآثار والتنقيبات القديمة والجديدة، كما تتعلق بدواع اجتماعية وسياسية وجغرافية، بطريقة تتضح فيها عملية استبعاد الأسماء العربية شكلاً ومضموناً. وقد توزعت التسميات الصهيونية للمعالم الفلسطينية، والمقدسية ضمناً، وفق أنماط متعددة؛ تناخية وتلمودية ورموز صهيونية ومحرّفة عن العربية ومترجمة إلى العبرية وحسب طبيعة المكان وحاخامات وأدباء وزعماء إسرائيليين أو أجانب⁶².

وغني عن البيان أن لكل اسم من الأسماء العربية والإسلامية المستبدلة دلالة وتاريخاً، ترتبط كلها بتاريخ العرب والإسلام في القدس، وأن إزالة هذه الأسماء تعتبر إزالة للدلائل وللتاريخ العربي والإسلامي، كما تعتبر جريمة واعتداء بالغين على حضارة القدس وتاريخ وثقافتها. ويوضح الجدول التالي عدداً من الأسماء المهوَّدة في القدس القديمة⁶³:



جدول 8/1: نموذج لبعض الأسماء العربية التي يتم تهويدها في القدس

الموقع	الاسم العربي	الاسم العبري
وسط السور الشرقي للمدينة	باب الأسباط	شاعر هاريوت (أي الأسود)
وسط السور الشرقي للمدينة	باب الرحمة	شاعر هزهاف (أي الذهبي)
عند الزاوية الشمالية الغربية للسور	باب الجديد	شاعر هحداش (أي الجديد)
وسط السور الغربي للمدينة	باب الخليل	شاعر يافو
وسط السور الشمالي	باب الساهرة (الزهور)	شاعر هيرودوت
في الجزء الجنوبي الغربي للسور	باب النبي داود	شاعر تسيون
السور الشمالي لمدينة القدس القديمة.	باب العمود (باب دمشق)	شاعر شخيم (أي نابلس)
الجزء الجنوبي من السور الغربي للحرم القدسي	حائط البراق	هكوتل همعرافي
خارج السور، من باب العمود حتى ساحة اللنبي غرباً	طريق سليمان (القانوني، باني سور القدس)	شارع المظليين
خارج السور، ويضم القسم الغربي من هضبة الشيخ جراح	تل الشرفة أو المشارف	جبعات همفتار
داخل السور	باب المغاربة	رحوب بيتي محسي
داخل السور، من باب العمود حتى ملتقى شارع باب السلسلة	طريق الواد	رحوب هكاي
بين حائط البراق والحي اليهودي	عقبة أبو مدين الغوث	عقبة يهودا هاليقي
داخل السور	حارة الشرف	مشجاف لداخ
داخل السور	سوق الحصر	حباد
داخل السور	عقبة درويش	حيفر حايمم
داخل السور	عقبة غنيم	سوليه هالكوت
داخل السور	طريق الفرير	هأحيم
داخل السور	طريق المجاهدين	دير شاعر هيرؤت
خارج السور	جبل المكبر	هار أوقل
خارج السور	جبل المشارف (سكوبس)	هار هتسوفيم
خارج السور	ساحة باب الخليل	ميدان عودة صهيون

أحد عشر: السياسة الإسرائيلية إزاء الحرم القدسي:

منذ البدايات الأولى للاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية، خضع الحرم القدسي في المدينة القديمة إلى حالة سميت تالياً "الحالة الراهنة أو الوضع القائم" Status Que. وفي السنوات اللاحقة، قامت الترتيبات، الإدارية (الوظيفية) على السماح للمسلمين بإدارة شؤون الحرم والزوايا والتكايا والمقامات التابعة للأوقاف الإسلامية، ولوحظ أن هذه الترتيبات لم تكن تعاني قصوراً ذاتياً، وإنما كانت عرضة للقيود والضغوط والإرغامات الإسرائيلية.

ولا اعتبارات سياسية وعملية بالدرجة الأولى، تحاشت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة وضع الحرم القدسي في مركز الصراع مع المسلمين، بانتظار استكمال الظروف المناسبة للانقضاء عليه وبناء ما يسمى "الهيكل الثالث" المزعوم هناك⁶⁴. لذا، حظرت تلك الحكومات على اليهود تأدية الصلاة الجماعية في الحرم، بينما سمحت المحكمة الإسرائيلية العليا لأي فرد يهودي تأدية صلاة صامتة فيه دون استفزاز لمشاعر المسلمين⁶⁵.

كانت مسألة الإدارة الفلسطينية للحرم، وما تزال، تواجه رفضاً واضحاً، من قبل المؤسسات الحاخامية الإسرائيلية، ولم يسبق لمجلس الحاخامية أن اعترف بهذه الإدارة. وفي صيف سنة 2000، بحث المجلس طلبات تليين الموقف الديني اليهودي الذي يحظر دخول يهود إلى الحرم في الوضع الراهن، لكنه أحجم عن تقديم رأي محدد بهذا الشأن، وشدد في المقابل على أن "جبل البيت هو من أكثر المواقع المقدسة بالنسبة للشعب اليهودي على الأرض"⁶⁶.

وبعد اندلاع انتفاضة الأقصى، أخذت الأوساط الإسرائيلية تتحدث عن استغلال الظروف لإجراء تغييرات في الحالة الإدارية الراهنة للحرم القدسي، وكمثال دعا الرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف Moshe Katsav إلى تطبيق ترتيبات جديدة في الحرم القدسي على غرار الترتيبات التي فرضتها "إسرائيل" في الحرم الإبراهيمي بالخليل، أي تقاسم المكان، وتنسيق توقيت صلاة المسلمين واليهود فيه⁶⁷. وظهرت دعوات لمسؤولين إسرائيليين لإنشاء منطقة عازلة داخل الحرم، مقابل حائط البراق، يحظر على أي شخص دخولها، بحجة القضاء على ظاهرة قذف الحجارة من هناك على اليهود الموجودين في ساحة المبكى، ودرست المحكمة الإسرائيلية العليا مسألة إغلاق الحرم القدسي أمام المسلمين⁶⁸.



وفي الوقت ذاته قررت المحكمة السماح للجماعة اليهودية المتطرفة المسماة "أمنا جبل البيت" بوضع حجر الأساس للهيكل بالقرب من السور الجنوبي للحرم على بعد خمسين متراً من باب المغاربة، في خطوة رمزية، يجدد اليهود من خلالها إصرارهم على إقامة معبد يهودي في الحرم القدسي⁶⁹. والملاحظ أن هذه الجماعة تقوم سنوياً بتقريب موقع حجر الأساس نحو الحرم، في محاولة لجعل هدفهم النهائي في متناول اليد.

وحيال الرد الإسلامي العنيف الذي قوبلت به الخطوة الجديدة، ركّز الحاخام الشرقي الأكبر في حينه، الياهو بكشي دورون على "أن الشعب الإسرائيلي لم يوقف ولو ليوم واحد صلواته من أجل إعادة بناء بيت المقدس، والعودة إلى عبادة الله فيه، وأن أنبياء بني إسرائيل قدموا هذا الوعد. إلا أنه حسب العقيدة اليهودية قد ينفذ الوعد بعد انتهاء الحرب وسيادة السلام، وأن الله وحده سيختار المكان والزمان المناسبين لتنفيذه"⁷⁰.

اثنا عشر: الحفريات الإسرائيلية كوسيلة لاستبدال هوية القدس:

على خلفية السعي إلى وضع "تاريخ يهودي" للقدس، جرى البحث عن أدلة مادية تستخدم في تغيير معالم المدينة وتاريخها وتراثها الثقافي، وكان مصطلح "جغرافية القدس المقدسة" هو منهج "شركة تطوير القدس الشرقية" الذي طرحته "إسرائيل"، كي يكون طعماً لجمع العامة حول هذه الفكرة المهمة لليهود، عن طريق استثمار ميثولوجياتهم الدينية التي جمعها أبحارهم وسجلوها في العهد القديم⁷¹. ولم يبقَ موقع في المدينة إلا وتعرض للحفريات الإسرائيلية، التي أجري بعضها بهدف إضعاف البنية التحتية للأبنية والمسكن والمقدسات الإسلامية، وهو ما أدى إلى إصابتها بأضرار خطيرة، إضافة إلى وجود مئات من المنازل التي سقطت أرضياتها وتصدعت جدرانها، بينما تمنع سلطات الاحتلال أي ترميم فيها⁷².

وكان لمنطقة الحرم القدسي النصيب الأكبر من عمليات التنقيب والحفريات الصهيونية، توافقاً مع الإنكار الصريح لهوية الحرم القدسي. ويمكن تحديد العديد من الاعتبارات الصهيونية الخاصة، التي تم الاستناد إليها في هذه العمليات، وفق المنحيين الرئيسيين التاليين⁷³:

1. المنحى الأيديولوجي والسياسي: يتمّ البحث عما يسمى "بقايا الهيكل"، بغرض توثيق ارتباط اليهود بالقدس وفلسطين. لذا، يشكل إثبات وجود الهيكل مركز الاستقطاب الذي يجمع حوله التبريرات الصهيونية لقيام دولة اليهود، وفي معرض السعي إلى توحيد العقل والشعور الجمعي اليهودي تجاه المكان، يكتسي البحث عن بقايا الهيكل لدى اليهود والصهيونيين طابع القداسة، ويتمّ إبراز الحفريات للعثور على تلك البقايا بأنها أعمال لامتلاك كنز أثري لا تضاهيه، بالنسبة لهم، أي لُقَى أثرية مهما عظمت أهميتها⁷⁴.

2. المنحى النفعي: تتطلع "إسرائيل" إلى توظيف الحفريات حول الحرم القدسي في اتجاهين رئيسيين؛ أولهما إلغاء الوجود العربي والإسلامي في القدس، عبر إزالة المباني والمعالم التاريخية ذات المحتوى الروحي والثقافي بالنسبة للعرب والمسلمين. وثانيهما إيجاد قوة جذب مادية لتوجيه الزوار من "إسرائيل" ودول العالم إلى المكان، لمشاهدة "آثار الماضي اليهودي". والمقصود هنا، في الواقع، آثار أعطيت شهادة ميلاد جديدة مزوّرة، دون أي اكتشافات بثوابت التاريخ، ودون أي احترام لهويتها الأصلية.

لم تكن أعمال الحفريات والتدخلات في تاريخ المنطقة وليدة السنوات التي أعقبت احتلال القدس الشرقية في حزيران/يونيو 1967، وإنما جاءت تطبيقاً لفكرة نشأت منذ السنوات الأولى لظهور الحركة الصهيونية. وكثيراً ما كان التعبير عن هذه الفكرة يرد في تصريحات الزعماء الصهاينة تحت ستار معرفة التاريخ الحقيقي لتلك المنطقة، بيد أن تيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية الأول، كان واضحاً تماماً في بيان الهدف الحقيقي المخطط له، بقوله: "إذا حصلنا يوماً على القدس، وبقيت حياً وقادراً على القيام بأي شيء، فسوف أنزل كل شيء ليس مقدساً فيها [يعني ليس مقدساً لدى اليهود] وسوف أحرق الآثار التي مرت عليها قرون". وبعد أكثر من ثلاث سنوات على احتلال القدس الشرقية، صرح زيرح فارهفيك، وزير الأديان الإسرائيلي، أن وزارته تسعى بواسطة عمليات الحفريات التي تجريها إلى "الكشف الكامل عن حائط المبكى، بهدف إعادة هذه الدرّة الثمينة إلى سابق عهدها". ووصف تلك الحفريات بأنها "عمليات تاريخية ومقدسة، غايتها الكشف عن الحائط، وهدم وإزالة المباني الملاصقة له، رغم العقبات التي كانت تقف في الطريق"⁷⁵.



وفي سنة 1971 قال موشيه ديان Moshe Dayan، وزير الحرب الإسرائيلي ” يجب العمل على كشف وإعادة ترميم كل ما يتعلق بأيام الهيكل الثاني، وأفضل أن أرى السور كما كان في عهد الهيكل الثاني، ويمكن تصوير بقية الآثار وتخليدها وإزالتها، لأنها تخفي وتمنع عنا رؤية الصورة الكاملة كما كانت في حينها“⁷⁶ على حد زعمه.

وبالإضافة إلى ذلك، تعدُّ الأنفاق والقنوات التي تشقها أو تعبت بها سلطات الاحتلال في القدس القديمة إحدى الوسائل الرامية إلى إعادة كتابة تاريخ هذه المدينة بالمفاهيم والمصطلحات اليهودية (الصهيونية)، وإلى إيجاد متغيرات جديدة من شأنها أن تزيد المؤثرات السلبية على أساسات الحرم القدسي والمباني المجاورة له، بهدف الإسراع بتهويد القدس.

وفي الممارسة العلمية، لم يكتفِ القائمون بالحفريات الإسرائيلية بالتحيز وغياب الموضوعية في دراسة الآثار المكتشفة، بل أدوا أعمالاً تخريبية بحق الأمكنة المدروسة. ويمكن تلخيص محتوى النهج اللاموضوعي والتدميري، الذي اعتمده المنقبون الإسرائيليون إزاء حضارة القدس وتاريخها وتراثها الثقافي، بالنقاط الرئيسية التالية:

1. الاستناد إلى المرويات التناخية والمؤلفات اليهودية بشأن تاريخ القدس، فمثلاً يؤكد بنيامين مازار في دراساته المنشورة أن أخبار الهيكل وردت في كتب التناخ والمشنا (متن التلمود) Mishnah وكتاب ”حرب اليهود“ لصاحبه يوسيفوس فلافيوس Josephus Flavius (37-100) للميلاد. ومع أن مازار يشير إلى أن الحفريات الإسرائيلية وصلت إلى الأساس الصخري للقدس القديمة، ولم تعثر على أي دليل مادي حول وجود الهيكل اليهودي. لكن مازار يصر على تحديد موضع الهيكل مكان الحرم القدسي⁷⁷. وبالمثل، يورد مثير بن دوف في مؤلفاته نموذجاً مرسوماً بعناية فائقة لما يسمى هيكل شلومو (هيكل سليمان)، ومقاطع ومناظر من مختلف الجهات لهذا الهيكل. ويظهر في رسومه المتخيلة أن قبة الصخرة بنيت على موقع الهيكل، وأن مبنى المسجد الأقصى بني على موقع الاستراحة الملكية⁷⁸. وفي هذا وسواه، يخالف مازار وبن دوف وأمثالهما، أبسط قواعد البحث العلمي؛ وهي قاعدة التزام الموضوعية، وبدلاً من هذا الالتزام المفترض يتمّ الانسياق وراء تصورات غيبية عن آثار يهودية، عبر إقحام مقصود للتاريخ اليهودي في المكان، لتحقيق أهداف ومكاسب سياسية.

2. الطمس المقصود للآثار الإسلامية المكتشفة، وتغيير معالم المكان وتزوير هويته الأصلية؛ ومن الشواهد المسجلة في هذا الخصوص، إفادة الكاتب الإسرائيلي داني رابينوفيتش Danny Rabinowitz في مقال نشره صيف 1998، يبين فيه أنه عمل في سنة 1968، كمتطوع في حفريات حائط المبكى، وكان مما أسفرت عنه هذه الحفريات مبان أموية. ويروي رابينوفيتش أنه حين عاد إلى الموقع في بداية السبعينيات لم يجد لهذه المباني أي أثر، حيث أزيلت من المنطقة بكاملها من أجل إفساح المجال للحفريات للوصول إلى طبقات البيت الثاني⁷⁹، على حد قوله. ولاحظت أوساط علمية غربية الأمر ذاته، ففي رسالة نشرتها في جريدة التايمز اللندنية The Times في 1972/8/17، أشارت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون، رئيسة مدرسة الآثار البريطانية في القدس، إلى أن إتلاف الأبنية الإسلامية على طول سور الحرم القدسي يعدّ جريمة كبرى، وأن على الرأي العام العالمي تقديم كل دعم لإيقاف هذه الأعمال البربرية⁸⁰. وذكرت المتطوعة الإيرلندية باولا غيرانتي، التي عملت مع البروفيسور الإسرائيلي يعقوب بيلج في الحفريات حول الحرم القدسي، أن علماء الآثار الإسرائيليين لا يسعون سوى إلى الكشف عن التاريخ اليهودي للقدس، ويتعمدون طمس معالم العصور التاريخية الأخرى⁸¹. وروى شاب فلسطيني، عمل في أواسط التسعينيات في حفريات الجهة الجنوبية الغربية للحرم القدسي، لحساب سلطة الآثار الإسرائيلية، أن مئات الآثار الإسلامية اكتشفت أثناء الحفريات، تمّ التحفظ عليها، ورفضت هذه السلطة تسليمها إلى الأوقاف الإسلامية. وفي حالات كثيرة تعمد المسؤولون الإسرائيليون تخریب السرايب وأعمدة القصور التي عثروا عليها⁸².

3. الامتناع الإسرائيلي المتشدد عن إشراك أوساط علمية عالمية، غير يهودية أو محايدة، في الحفريات حول الحرم القدسي. وهو ما يؤكد أن سلطات الاحتلال تسعى إلى تكييف الآثار المكتشفة واستنطاقها لإثبات المقولات اليهودية (الصهيونية). ويعترف بعض الإسرائيليين أنه في حالة حفريات "حاخامية الحائط"، كما في غيرها من الحفريات، لم يسمح لأي عالم آثار مستقل بالمشاركة في عمليات التنقيب، أو حتى بالدخول إلى أمكنة معينة، ولم تنشر رسمياً نتائج التنقيب بصورة علمية، ولم تعرف بالضبط وبالتفصيل الآثار المكتشفة، كما لم يعرف كم من الأشياء المهمة التي أُلقيت مع أكوام الأتربة التي نقلت من أماكنها⁸³. وبين الإسهامات البحثية الغربية المحايدة التي تسلط الضوء على طبيعة الحفريات



الإسرائيلية، ثمة أهمية لتأكيدات البروفيسور روبي دونسيل، في دراسة نشرها ضمن مجلة ملفات الأركيولوجيا الفرنسية، عدد شباط/فبراير 1999، والتي ذكر فيها أن الإسرائيليين لم يسمحوا لأحد أن يقوم بعمل يرون أنفسهم قيّمين عليه، وبالتالي لم يتمكن الغربيون من غير اليهود من المشاركة في الحفريات الجارية. ولاحظ دونسيل أن الإرادة التي كانت عند عدد من المستكشفين والباحثين خلال القرن 19 ميلادي في تفسير التوراة، حلّت محلها بعد سنتي 1948 و1967 إرادة لتمثيل وإثبات الوجود الإسرائيلي عبر إعادة اكتشاف جذوره⁸⁴.

4. التجاهل الإسرائيلي المتعمد لنتائج الحفريات التي توصلت إليها البعثات الغربية، وخاصة في مواقع حفريات المدرستين الفرنسية والبريطانية، وذلك في الفترة 1961-1967. وهو ما دفع بعض علماء الآثار للتشكيك بالتوجهات الإسرائيلية، من حيث ضعف الأسس العلمية لهذه التوجهات، وكان في مقدمة هؤلاء رولاند ديفو مدير المدرسة التوراتية الفرنسية، وكاثلين كينيون المتخصصة البريطانية بالآثار الفلسطينية.

تنطوي هذه الخصائص على مؤشرات واضحة بشأن الأهداف المشبوهة والتطلعات المغرضة التي يعمد القائمون بالحفريات الإسرائيلية إلى بلوغها. وبهذا، لا تفترق المهمة التي ينفذها هؤلاء عن مجمل الأداء الصهيوني العام، بل تنسجم معه وفق عملية التقاسم الوظيفي للأدوار.

ثلاثة عشر: سقوط التاريخ التناخي: شهادات علماء إسرائيليين:

أجمعت التقارير والدراسات التي تضمنت نتائج الحفريات حول الحرم القدسي، قبل سنة 1967 وبعدها، على انعدام وجود أي أثر للهيكل اليهودي في المكان. وارتبك المنقبون الإسرائيليون إزاء حقائق الصمت المطلق لنتائج الحفريات بشأن ما يسمونه ”العصور اليهودية“ في القدس. وقد كانت الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي من الاتساع والعمق على نحو بات معه من المتعذر قبول أي توقع مستقبلي بالعثور على آثار للهيكل المزعوم، بمعنى أنه لو كانت هذه الآثار موجودة فعلاً لأمكن اكتشافها. وفي ظلّ هذه الحقيقة اتضح للقائمين بتلك الحفريات أنهم يبحثون عن سراب.

ومن المفيد التوقف هنا عند إفادات علمية مهمة حول هذا السراب. ففي دراسة تاريخية مهمة، نشرتها جريدة هآرتس Haaretz في 1999/10/29 لمجموعة من علماء الآثار الإسرائيليين، تمّ التأكيد على أنّ المكتشفات الأثرية في العقدين الأخيرين تثبت أنّ حكايات التوراة وقصصها تتناقض علمياً مع الحقائق التي اكتشفها علماء الآثار الإسرائيليون، وكان على رأس المشتركين في هذه الدراسة العلمية الباحث زئيف هيرتسوغ Ze'ev Herzog، الأستاذ في قسم آثار وحضارة الشرق الأوسط القديم في جامعة تل أبيب، والذي فنّد بعض الأباطيل التي وردت في العهد القديم، مثل الصعوبة التي واجهها الباحثون في الاتفاق بينهم على الفترة الأثرية التي تتوافق مع "عهد الأجداد"، فبناءً على النصّ التوراتي أقام شلومو (سليمان) الهيكل المقدس في سنة 480 للميلاد منذ الخروج من مصر، وكذلك فإن التسلسل التاريخي منذ هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان، لم تسفر الحفريات الكثيرة التي أجراها علماء الآثار في "إسرائيل" عن توافق مع هذا التسلسل التاريخي⁸⁵.

ويبيّن هرتسوغ أنّ مراحل تكوّن "شعب إسرائيل" كانت مغايرة تماماً لما يوصف في العهد القديم، وأنه على ضوء الآثار المحفوظة من العهود السابقة واللاحقة أصبح واضحاً أنّ القدس في عهد ديفيد وشلومو (داود وسليمان) كانت مدينة صغيرة، وربما كان فيها قلعة ملك صغيرة، إلا أنها لم تكن إطلاقاً عاصمة الإمبراطورية الموصوفة في العهد القديم. وبرأيه، إن علم آثار "أرض إسرائيل" يستكمل في آخر القرن العشرين عملية انتقاله للاستقلالية العلمية، وهو مستعد للاصطدام مع مكتشفات البحث التوراتي والتاريخ القديم كأساس متساوي القيمة، ولكن بالمقابل تحدث ظاهرة مثيرة هي تجاهل الأمر من قبل المجتمع الإسرائيلي⁸⁶.

وضمن تقرير نشرته مجلة جيروزاليم ريبورت The Jerusalem Report شكك عالم الآثار يسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein من جامعة تل أبيب، والمعروف بأبي الآثار، بوجود أي صلة لليهود بالقدس، وأكد أنّ علماء الآثار اليهود لم يعثروا على شواهد تاريخية أو أثرية تدعم بعض القصص الواردة في العهد القديم، بما في ذلك قصص الخروج والته في سيناء وانتصار يوشع بن نون على كنعان. وشكك في قصة ديفيد (داود)، الشخصية التوراتية الأكثر ارتباطاً بالقدس، حسب معتقدات اليهود، مبيناً أنه لا يوجد أساس أو شاهد إثبات تاريخي على وجود هذا الملك المحارب الذي اتخذ القدس عاصمة له، والذي سيأتي المسيا (المسيح المنتظر) من صلبه للإشراف على بناء



”الهيكل الثالث“. بالإضافة إلى أن شخصية ديفيد (داود) كزعيم يحظى بتكريم كبير لأنه وُحِدَ مملكتي ”يهودا وإسرائيل“ هو مجرد وهم وخيال، لم يكن لها وجود حقيقي. كما يؤكد فنكلشتاين أن وجود باني الهيكل شلومو بن ديفيد (سليمان بن داود) مشكوك فيه أيضاً، حيث يقول العهد القديم إنه حكم إمبراطورية تمتد من مصر حتى نهر الفرات، على الرغم من عدم وجود أي شاهد أثري على أن هذه المملكة المتحدة المترامية الأطراف قد وجدت بالفعل في يوم من الأيام، أما فيما يتعلق بهيكل شلومو (هيكل سليمان) فلا يوجد أي شاهد أثري يدل على أنه كان موجوداً بالفعل⁸⁷. ويعكس هذا التقرير حالة الإرباك الموجودة لدى علماء الآثار الإسرائيليين، مع العلم أن المسلمين يؤمنون بوجود داود وسليمان عليهما السلام كما وردا في القرآن الكريم والسنة النبوية.

في الوقت ذاته، اعترف مؤثر بن دوف مثلاً، أن الحفريات الأثرية حول الحرم القدسي كشفت عن أبنية مهمة تعود إلى العهد الأموي، وقدمت إثباتات مكتوبة وموثقة، وأظهرت بقايا ضاحية كبيرة بدأ أبناء عبد الملك (الوليد وهشام) ببنائها. وتمكن بن دوف من رسم مخططات لمقاربة الواقع، تتضمن مقر دار الإمارة والقصور الأموية حول الحرم القدسي، وبعض النقوش والزخارف واللُّقى، استناداً إلى الآثار التي تم العثور عليها⁸⁸. وكمتابعة للموضوع، أجرت جريدة القدس الفلسطينية في 28/9/2001 مقابلة مع مؤثر بن دوف نشرتها تحت عنوان ”عالم إسرائيلي: هيكل سليمان أكلذوية“، جاء فيها ما يلي: لقد فَجَّرَ عالم الآثار الإسرائيلي مؤثر بن دوف قنبلة دوى صداها في المنطقة، حيث كشف النقب عن أنه لا يوجد آثار لما يسمى بجبل الهيكل تحت المسجد الأقصى، مناصراً بذلك الأصوات السابقة التي كشفت عن ذلك، ولا سيما علماء الآثار الإسرائيليين بقسم التاريخ بالجامعة العبرية. وفي هذا اللقاء تحدّث مؤثر بن دوف قائلاً إن هيكل هيرودوس لم تكن له أيّ علاقة بالصخرة، حيث كان هذا الهيكل مرتفعاً بخمسة أمتار. وأضاف: ”جاء المسلمون إلى هذه الديار وبنوا على تلك الصخرة التي وجدت في تلك المنطقة التي ليس لها أي علاقة مع الهيكل، كما أنّ الصليبيين هم الذين أطلقوا على الصخرة اسم صخرة الهيكل“. وتابع بن دوف قائلاً:

إذا قمنا بإجراء حفريات أسفل تلك المنطقة فإننا سنجد آبار مياه متشعبة، وقد رأينا قنوات مائية خلال مسيرة الحفريات، والدراسة التي أجريناها خلال 25 عاماً الماضية استنتجنا منها أنه لا يوجد هيكل هناك (أي لا توجد بقايا من ذلك الهيكل)، وإذا قمت بالحفر فإنك لن تستطيع إطلاقاً أن تجد أية بقايا للهيكل

تدل على تلك الفترة، مما يؤكد بأنه إذا ما تمّ الحفر خارج السور من الجهة الشرقية فإنّه من الممكن أن يتمّ العثور على كتابات أو قطع أثرية، لكن في الداخل أو أسفل منطقة الحرم القدسي فلا توجد أية بقايا أثرية أو غيرها⁸⁹.

وعلى المسار ذاته، لم يكن أمام بنيامين مازار وميريام روزن-أيالون Myriam Rosen-Ayalon مفراً من الاعتراف بالهوية الإسلامية للآثار المكتشفة، إلى جانب الآثار العائدة للعهد الروماني والبيزنطي⁹⁰.

ويمكن إدراج ثنائية ”الصورة - الواقع“ بشأن الحفريات حول الحرم القدسي، في عداد ما أسماه أحد الكتاب الإسرائيليين ”قولبة وجه القدس القديمة منذ سنة 1967 بمزيج هش من المصالح والتفسيرات التاريخية والإجراءات العلمية وجدول الأفضليات والمصالح الاقتصادية“⁹¹. وقد أكد رافي غرينبرغ، عالم الآثار والمحاضر في جامعة تل أبيب، أنّ بعض المواقع الأثرية وعلماء الآثار يُستخدَمون كسلاح في معركة السيطرة السياسيّة والدينيّة على القدس، وأنّه لا توجد أية حاجة علميّة ملحّة للعديد من الحفريات التي تتمّ في البلدة القديمة، والغالبية العظمى من هذه الحفريات ناتجة عن ممارسة ضغوطات من قبل جهات غير مهنيّة وعقائديّة متطرّفة⁹².

نحن إذن أمام واقع قائم يفرض وجوده وتاريخه وتسلسله بمعطياته المادية... واقع يعبر عن الهوية الحقيقية للقدس ومنطقة الحرم القدسي ضمناً. وعلى الرغم من رغبة القائمين بالحفريات الإسرائيلية بتجنب الإفصاح عن هذه الهوية، إلا أن ما عثروا عليه أقوى من أي مقولات أو أسانيد يحاولون ترويجها. ويمكن النظر إلى نتائج الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي من زاوية دلالتها البالغة على حقيقة راسخة، وهي أنه كلما تعمق البحث والتنقيب الأثري، تكون الحصيلة تعمق الهوية بين آثار القدس والرواية اليهودية التناخية.

أربعة عشر: وجود عربي إسلامي عريق وصمود يتحدى التهويد:

على الرغم من أن الأشواط المديدة التي قطعتها عملية تهويد القدس، إلا أن هذه العمليات لم تتمكن من إنجاز هدفها الاستراتيجي، بدليل بقاء عدد كبير نسبياً من المواطنين العرب في المدينة ومجالها الإداري، وصمود العديد من المعالم العربية والإسلامية أمام



الهجمات الصهيونية المتواصلة التي حاولت سلطات الاحتلال تدميرها أو تدميرها. ففي القدس ما يزال يقاوم التهويد ما ينوف عن مئتي معلم أثري ينتمي إلى الحضارة العربية والإسلامية، منها 46 مدرسة تاريخية، و39 زاوية وضريحاً وتربة، و25 مسجداً، و22 سبيلاً وحماماً، و35 قبة ومحراباً وباباً، و34 طريقاً قديمة وأثرية، و18 طريقاً مقدساً عند المسيحيين، و19 كنيسة وبطيركية، و9 أسواق قديمة، و8 أبواب، وعدد كبير من القباب والتكايا والخانقات والأروقة والمقابر الجماعية التي تضم تسعة قبور للصحابة وعشرات القبور للمجاهدين والعلماء والقادة والأعيان... إلخ⁹³.

خاتمة:

تشكل التوجهات والممارسات الصهيونية إزاء التراث الحضاري والثقافي الخاص بالقدس، أحد مظاهر موجات الغزو الخارجي التي تعرضت لها المدينة على مدى تاريخها العربي الإسلامي الطويل. ويتلخص هذا الأمر عبر تشكيل التاريخ اليهودي، ونفي هوية القدس العربية الإسلامية، وتسويق فكرة الهيكل اليهودي وتحديد موقعه الموهوم مكان الحرم القدسي، واصطناع القداسة لحائطه الغربي (البراق)، الذي يعدّ جزءاً من معبد هيرودوس الأدومي العربي. ويتمّ في هذا المنحى الانتساب اليهودي المزور للقدس، التي يشوه المستشرقون والمؤرخون اليهود والصهاينة هويتها، مع تركيز صهيوني على "هامشية القدس" لدى المسلمين، وتعكس مناهج التعليم الإسرائيلية هذا التشويه. وتتجسد عدوانية المشروع الصهيوني وهمجية الاحتلال عبر الإجراءات الإسرائيلية إزاء القدس، وعمليات التدمير التي تتعرض لها المعالم العربية والإسلامية، ومحاولات الطمس والتهويد والتزوير للأسماء العربية الإسلامية المقدسية، وانتهاج سياسة مبرمجة إزاء الحرم القدسي، والقيام بحفريات مغرضة في القدس، في محاولة لاستنطاق الآثار العربية الإسلامية للمدينة. ولكن شهادات العديد من العلماء الإسرائيليين تثبت سقوط التاريخ التناخي والمزاعم الإسرائيلية، فضلاً عن إثبات حقائق الوجود العربي الإسلامي العريق للقدس وصمودها الذي يتحدى التهويد، بانتظار تحرير هذه المدينة الأسيرة.

هوامش الفصل الثامن

- ¹ يوسي كاتس ويهوشع بن آرييه، محكريم بيجيوغرافية هيسطوريت يشوفيت شل إيرتس يسرائيل (أبحاث في الجغرافية التاريخية للاستيطان في أرض إسرائيل) (القدس: إصدار ياد بن تسفي ومعهد دراسة تاريخ الكيرين كايमित ليسرائيل، 1991)، ص 15. (بالعبرية)
- ² أورشليم التي يحاول الصهونيون اليوم عدّها من الأسماء العبرية، هي كلمة كنعانية عربية أصيلة. لمزيد من التفاصيل حول أسماء القدس منذ أقدم عصورها حتى الآن، انظر مثلاً: فيصل صالح الخيري، دلالة أسماء القدس على عروبته، موقع جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، 2002/10/9، في: http://www.aqsa-mubarak.net/default.asp?cat_id=80&page_id=235
- ³ موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، هذه هي إسرائيل، أورشليم القدس، انظر: <http://www.altawasul.com/mfaar/this%20is%20israel/jerusalem>
- ⁴ Theodore Kolek et Moshe Pearlman, *JERUSALEM: Ville Sacrée de l'humanité, Quarante siècles d'histoire*, Traduction de Clair Poole (Paris: Fayard, 1968), p. 12, 15.
- ⁵ محمد إدريس، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، موقع نداء القدس، انظر: http://www.qudsway.com/images/books/file_203242627.doc
- ⁶ شموئيل سيجف، ملحماء فشلوم بمزراح هتيخون (حرب وسلام في الشرق الأوسط) (تل أبيب: مطبعة طبراسكي محدودة الضمان، 1968)، ص 181. (بالعبرية)
- ⁷ يونا كوهين، العاصمة الأبدية للشعب الأبدي، جريدة هتسوفيه، 1989/6/2، ص 5.
- ⁸ دافيد سيتون، يروشلايم بتولودوت عام يسرائيل (القدس في تاريخ شعب إسرائيل) (القدس: إصدار بمعرخا، 1968)، ص 95. (بالعبرية)
- ⁹ أورثيل بن عمي، القدس - مع وبلا، جريدة عل همشمار، 1990/2/9، ص 13.
- ¹⁰ Avraham B. Yehoshua, "Jerusalem," *The Jerusalem Quarterly*, Institute of Jerusalem Studies (IJS), Jerusalem, no. 19, Spring 1981, p. 7.
- ¹¹ يوئيل ماركوس، لينسوا القدس، هآرتس، 1994/6/3، ص 4.
- ¹² موشي إيدال، "القدس في الفكر اليهودي خلال القرن الثالث عشر"، يهوشع برافر وحجاي بن شمائي، القدس: العهد الصليبي الأيوبي (القدس: دار يتسحاق بن تسفي، 1991)، ص 264، 270. (بالعبرية)
- ¹³ يسرائيل ميداد، "أحقاً جبل الهيكل بيدنا"، مجلة نتيف، مركز أرييل للدراسات السياسية، العدد 6، تشرين الثاني/ نوفمبر 2000؛ ونشرة المصدر الاستراتيجي، القدس، العدد 11، السنة الثانية، كانون الثاني/ يناير 2001، ص 25-37.
- ¹⁴ يسرائيل شاحك، "اللاهوت اليهودي والقدس"، مجلة الكرمل، العدد 65، خريف 2000، ص 227.
- ¹⁵ David Ben Gurion (editor), *The Jews in their Land*, translated from Hebrew (London: Aldus Books, Jupiter Books, 1974), p. 54.
- ¹⁶ روجي الخطيب، المؤامرات الإسرائيلية على القدس (عمّان: أمانة القدس، 1975)، ص 41.
- ¹⁷ M. Avi - Yonah and E. Krasling, *La vraie Histoire de la Bible* (Paris: Mouton la Maye, 1962), p. 54, 133.
- ¹⁸ *Encyclopaedia Judaica*, vol. 15, Temple, second edition (Jerusalem: Keter Publishing House Ltd., 1973), pp. 942-990.
- ¹⁹ ران بيرتس، جبل الهيكل في أيدينا؟، جريدة معاريف، 2004/7/29.
- ²⁰ مثير بن دوف، يروشلايم بروئي هدوروت (القدس في مرآة الأجيال) (القدس: إصدار كارتا، 1991)، ص 24، 33، 36-37، 51، 88. (بالعبرية)
- ²¹ معجم اللاهوت الكتابي (بيروت: دار المشرق، 1993)، ص 827-828.



- ²² مصطفى الدباغ، *بلادنا فلسطين*، ط 2 (بيروت: دار الطليعة، 1973)، القسم الأول، ج 1، ص 500.
- ²³ قاموس الكتاب المقدس، ط 10 (القاهرة: دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995)، ص 1008.
- ²⁴ موسوعة الكتاب المقدس (بيروت: دار منهل الحياة، 1993)، ص 330-333، 334.
- ²⁵ إنسكلوبيديا لحفريات أرخبولوجيات بايرتس إسرائيل (موسوعة الحفريات الأثرية في أرض إسرائيل) (القدس: شركة بحوث أرض إسرائيل وآثارها، دار نشر مسادا، 1975)، ج 1، ص 208. (بالعبرية)
- ²⁶ زئيف فلنائي، *يروشلايم بيرات إسرائيل... هعير هعنيكا* (القدس عاصمة إسرائيل... المدينة القديمة) (القدس: منشورات آحي عوفيد، 1970)، ص 310. (بالعبرية)
- ²⁷ *Encyclopaedia Judaica*, vol. 16, Western Wall, third edition (Jerusalem: Keter Publishing House Ltd., 1974), p. 467.
- ²⁸ *Encyclopedia of Zionism and Israel*, vol. 2 (New York: Herzl Press, Mc Graw-Hill, 1971), p. 1215.
- ²⁹ Cecil Roth and others, *The New standard Jewish Encyclopedia* (London: W.H.Allen, 1975), p.1956.
- ³⁰ *Encyclopaedia Judaica*, vol. 16, p. 468.
- ³¹ إبراهيم عبد الكريم، *حائط البراق... الملكية الإسلامية والانتحال اليهودي* (طرابلس، ليبيا: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، 2001)، ص 7-16.
- ³² عوزي بنزيمان، *يروشلايم غير ليلو حوماه* (القدس: مدينة دون سور) (القدس وتل أبيب: إصدار شوكن، 1973)، ص 25. (بالعبرية)؛ ونداف شرغاي، بالإجمال يدور الحديث عن خلافات بسيطة: أين قيد النبي محمد بُراقه، الحلقة الثانية، هآرتس، 2001/1/15، ص 3/ب.
- ³³ حسن عبد الرحمن سلوادي، المستشرقون اليهود ومحاولة التهوين من قدسية القدس ومكانتها في الإسلام، بحث مقدم لمسابقة جمعية القدس للبحوث والدراسات في غزة، انظر: جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، 2002/10/9، في:
- http://www.aqsa-mubarak.net/default.asp?cat_id=80&page_id=233؛ وانظر: المركز الفلسطيني للإعلام، في: <http://www.palestine-info.info/arabic/alquds/muslims/almustash.htm>.
- ³⁴ المرجع نفسها.
- ³⁵ عمانوئيل سيفان، "قدسية القدس عند الإسلام في فترة الحملات الصليبية"، يهوشع برافر وحجاي بن شمائي، *القدس: العهد الصليبي الأيوبي* (القدس: دار يتسحاق بن تسفي، 1991)، ص 287-288، 296. (بالعبرية)
- ³⁶ حسن سلوادي، المستشرقون اليهود.
- ³⁷ المرجع نفسه.
- ³⁸ انظر الفصل المخصص للاستيطان اليهودي في القدس خلال الحملات الصليبية في: يهوشع برافر وحجاي بن شمائي، *القدس: العهد الصليبي الأيوبي* (القدس: دار يتسحاق بن تسفي، 1991)، ص 194. (بالعبرية)
- ³⁹ حسن سلوادي، المستشرقون اليهود.
- ⁴⁰ المرجع نفسه.
- ⁴¹ إسرائيل إداد، المدينة المفروضة والمرغوبة، هآرتس، 1987/5/28، ص 9.
- ⁴² إسرائيل ميداد، "أحقاً جبل الهيكل بيدنا".
- ⁴³ انظر: سمير سمعان وآخرون، *العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية* (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2004)، ص 47-48.
- ⁴⁴ النصوص الواردة مأخوذة من خلال قراءة مقارنة من: إبراهيم أبو جابر، "العرب في المناهج الدراسية الإسرائيلية"، *مجلة شؤون دولية*، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم - فلسطين، العدد 10، 2005، ص 79 وما بعدها؛ وانظر: سمير سمعان وآخرون، *العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية*، ص 50-59.
- ⁴⁵ سمير سمعان وآخرون، *العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية*، ص 67-68، 71.

- ⁴⁶ خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004)، ص 23، 29.
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص 30.
- ⁴⁸ *Laws of the State of Israel*, vol. 12, no. 5727, Government Printer, Israel, 1967, p. 75-76.
- ⁴⁹ شموئيل سيجف، *ملحماه فشلوم بمزراح هتيخون*، ص 189.
- ⁵⁰ روجي الخطيب، *تهويد القدس (عمّان: لجنة إنقاذ القدس، 1970)*، ج 1، ص 54.
- ⁵¹ فاروق أبو الرب، القدس بين الواقع والوضع النهائي، *جريدة القدس*، 1999/8/21، ص 20.
- ⁵² تقرير موتي بسوك، *جريدة دافار*، 1993/7/2، ص 2؛ *الوقائع الإسرائيلية*، كتاب القوانين، مطبعة الحكومة، النسخة العربية، 1980/8/5، ص 316.
- ⁵³ روجي الخطيب، *تهويد القدس*، ج 1، ص 34-35.
- ⁵⁴ المرجع نفسه، ص 16-17.
- ⁵⁵ الفضائية المصرية، "موضوع الساعة"، الساعة 21:00، 2001/8/8.
- ⁵⁶ تقرير جدعون ألون، *هآرتس*، 2000/11/28، ص 2.
- ⁵⁷ إسرائيل تسجل عقارات في القدس القديمة في الطابو، موقع المشهد الإسرائيلي، 2008/3/11، نقلاً عن *هآرتس*، انظر: <http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/viewarticle.asp?articleid=3826>؛ والحكومة الإسرائيلية تبدأ بتسجيل ما يسمى بـ "أماكن يهودية" في القدس المحتلة في دائرة التسجيل (الطابو)، موقع عرب 48، 2008/3/11، في: <http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=7&id=52658>.
- ⁵⁸ شأؤول كوهين، "يروشلايم همأحدوت بورات جيئوبوليتي"، (القدس الموحدة ضرورة جيوسياسية) بحث في *يهودا فشمرون - محكريم بجيوغرافيه بيشوفيت (يهودا والسامرة - فصول في الجغرافية الاستيطانية)* (جامعة تل أبيب وجامعة بار إيلان، 1977)، ص 457. (بالعبرية)
- ⁵⁹ دراسة حديثة تحذر من خطر التزوير الحضاري والتاريخي الصهيوني في القدس للباحث سعيد يقين من جامعة بيرزيت في دراسة بعنوان: "الحركة الصهيونية وخطر التصفية والتزوير الحضاري والتاريخي في منطقة القدس"، موقع جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، 2002/10/9، انظر: http://www.aqsa-mubarak.net/default.asp?cat_id=81&page_id=240؛ وانظر الدراسة الأكاديمية التي تحذر من خطر التزوير الحضاري والتاريخي الصهيوني في القدس، في: <http://www.palestine-info.info/arabic/alquds/tahweed/altazweer.htm>
- ⁶⁰ المراجع نفسها.
- ⁶¹ المراجع نفسها.
- ⁶² للتفاصيل انظر مثلاً: شكري عرّاف، *المواقع الجغرافية في فلسطين: الأسماء العربية والمسميات العبرية* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005)؛ وإبراهيم عبد الكريم، *تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية (دراسة ودليل)* (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001).
- ⁶³ روجي الخطيب، *تهويد القدس (عمّان: أمانة القدس، 1971)*، ج 2، ص 88-89؛ وانظر أيضاً: روجي الخطيب، "تهويد القدس"، *الموسوعة الفلسطينية*، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، ج 6 (بيروت: 1990)، ص 796-895.
- ⁶⁴ عالج الباحث هذه المسألة في دراستين منفصلتين: إبراهيم عبد الكريم، "تهويد الحرم القدسي... دراسة توثيقية في الذرائع والوقائع"، *مجلة شؤون عربية*، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 96، كانون الأول/ديسمبر 1998، ص 123-149؛ وإبراهيم عبد الكريم، "المضامين السياسية للصراع حول القدس الشرقية"، *مجلة التعاون*، الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، الرياض، العدد 58، كانون الأول/ديسمبر 2003، ص 147-180.
- ⁶⁵ نداف شرغاي، القدس واختلاط الدين والسياسة، *جريدة القدس*، 2000/6/19، ص 12، نقلاً عن *هآرتس*.
- ⁶⁶ تقرير نداف شرغاي، *هآرتس*، 2000/7/4، ص 6.
- ⁶⁷ *جريدة القدس*، 2001/4/11، ص 3.
- ⁶⁸ تقرير شموئيل ميلتمان، *معاريف*، 2001/7/5، ص 8.



- 69 تقرير سائدة حمد، جريدة الحياة، لندن، 2001/7/26، ص 4.
- 70 جريدة القدس، 2001/7/30، ص 1.
- 71 إبراهيم الفني وطاهر النمري، تفنيد مزاعم علماء الآثار الإسرائيليين حول القدس والمسجد الأقصى المبارك، جريدة القدس، 2002/2/15، ص 18.
- 72 سعيد يقين، "الحركة الصهيونية وخطر التصفية والتزوير الحضاري والتاريخي في منطقة القدس." 73 إبراهيم عبد الكريم، "الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي... الأيديولوجيا - المجريات - النتائج،" مجلة التعاون، الأمانة العامة، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد 54، كانون الأول/ ديسمبر 2001، ص 261-287.
- 74 إيلي شيلر وجدعون بيجر، **يروشلايم: هعير هعتيكا** (القدس: المدينة القديمة) (القدس: دار أرييل، 1988)، ص 55-58. (بالعبرية)
- 75 روجي الخطيب، **تهويد القدس**، ج 2، ص 41-42، 59.
- 76 روجي الخطيب، **المؤامرات الإسرائيلية على القدس**، ص 24.
- 77 For more details see: B. Mazar, *The Mountain of the Lord* (New York: 1975).
- 78 مثير بن دوف، **يروشلايم بروئي هدوروت**، ص 36.
- 79 داني رابينوفيتش، اختبار النضوج الأثري، **هأرتس**، 1998/8/27، ص 1.
- 80 روجي الخطيب، **المؤامرات الإسرائيلية على القدس**، ص 24-25.
- 81 تقرير، جريدة القدس، 1997/4/2، ص 3.
- 82 عبد الرؤوف داود، حفريات جديدة تهدد أساسات المسجد الأقصى، **الحياة**، 1996/7/14، ص 1.
- 83 إيلي تافور، شحنة متفجرة دينية تحت الحرم، ملحق جريدة **يديعوت أحرونوت**، 1981/9/4، ص 7.
- 84 رلى الزين، ملفات الأركيولوجيا تضيء جوانب تراث غائبة، **الحياة**، 1999/3/8، ص 16.
- 85 صالح الرقب، **الهيكل اليهودي {المقدس} خرافات بلا حدود** (غزة، فلسطين: مركز النور للدراسات والأبحاث، 2002)، انظر: <http://www.drsregeb.com/index.php?scid=33&flage=15>
- 86 زئيف هرتسوغ، الاكتشافات الأثرية تدحض الادعاءات التوراتية حول تاريخ بني إسرائيل، جريدة القدس، 1999/10/30، ص 23.
- 87 عالم آثار إسرائيلي يشكك بوجود أية صلة لليهود بالقدس، جريدة القدس، 2000/11/13، ص 6؛ والانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى منذ سنة 1967، موقع المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات (ملف)، في: http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=153&CatId=89table=pa_documents
- 88 مثير بن دوف، **يروشلايم بروئي هدوروت**، ص 104-108.
- 89 الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى منذ سنة 1967، المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.
- 90 رزق صفوري، جريدة القدس، 1996/10/3، ص 12.
- 91 داني رابينوفيتش، اختبار النضوج الأثري، **هأرتس**، 1998/8/27، ص 1/ب.
- 92 غصون ريان، المساحة غير المهنية في علم الآثار الإسرائيلي، **المشهد الإسرائيلي**، 2007/5/10، في: <http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/viewarticle.asp?articleid=3473>
- 93 **نشرة البيدر**، جامعة بيرزيت، العدد 23، 2000/6/5، ص 3.